# الجديد

عدد ٣ - آذار (مارس) 1981

لنذكر
و
نذكّر



# من شاعر فلسطيني الى صليبا خميس

الاخ الغالي صليبا . .

اسلم عليك واشتاقك . قرأت اليوم في صحيفتنا القطيعة "الاتحاد" زاويتك الاسبوعية في الصفحة الثالثة من عدد يوم الجمعة ٦ فبراير والتي تناولت فيها موضوع "جهاد ملوك الصحراء"، فتذكرت ابياتا من الشعر لشاعر لم يشأ ذكر اسمه، يقول فيها:

سـلوا سواخير "سـوهو" عن ليالينا
واسـتخبروهنّ عـن قـنت الطلاينـا

بـل فاسـألوا كل خنفوس وصوصـة
من منهجو لم يقع بين أيدينـا

نحن نسحب شبكات فتتبعنـا
شقر النساء عرايا كيفما شينا

ما ندفع الزيت بالمجان من ترع
من الاعادي ـ ومن يقوى يعادينا؟

لكننا صدقات اذ نقدمهـا
نعين ابناء أوروبا المساكينـا

اليس يضحك والبيداء لاهيـة
أن نقتني عندنا كازا وبنزينا؟

أنا لنقوم متى حاولت ترسمنا
فسوف تتعب تخطيطا وتلوينا

بيض كنادرنا ، سود أظافرنا
خضر عمائمنا ، حمر ليالينا

هكذا فليكن الجهاد المقدس والا فلا نامت أعين الجبناء.
سلم لي على الاحباب جميعا ولك كل المحبة .

اسم الشاعر ـ محفوظ في ملف التحرير


# الجديد

مجلة شهرية ثقافية
تأسست في حيفا عام ١٩٥١

عنوان هيئة التحرير :
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ ،
ص . ب ١٠٤
تلفون : ٠٤/٦٦٦٦٤٨

عنوان الادارة :
حيفا
شارع الحريري ٩
ص . ب ١٠٤
تلفون ٧-٠٤/٥١١٢٩٦

تطبع في :
مكتبة ومطبعة أبو رحمون
عكا : تلفون : ٠٤/٩١٦٢٧٨

المحرر المسؤول :
المحامي حنا نقارة

# تقرأ في هذا العدد



الفنان عبد عابدى يزيّن بلوحاته صفحات هذا العدد، والخطاط طارق شريف يزينها بريشته.

موضوع الغلاف : لنذكر ونذكّر ، لوحة للفنان الفلسطيني عصام بدر.


الثمن ٧ شواقل

## رأي الجديد

# نحتفل بيوم الارض لنتذكر ونذكّر...

حين تحيي جماهير الشعب الفلسطيني ذكرى يوم الارض ، ترتفع الاصوات وتعقد المهرجانات والاجتماعات الشعبية، ليس فقط لتحيي ذكرى الشهداء وانما لتذكر ايضا أن من اطلق النار على ستة من ابناء هـذه الارض ما زال يهدد بتشريد وترحيل أكثر من نصف مليون متشبث بهذه الارض، وأن من نهب غالبية الارض التي ارتوت بدم الشهداء ما زال يخطط ويعمل للاستيلاء على ما تبقى منها ، انطلاقا من حقده على الجماهير العربية في هذه البلاد ومن تنكره لحقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية، ولذلك فان احياء هـذه الذكرى لا يطغى عليها جو التأبين وانما جو الحماس والتأهب لمواصلة المعركة من اجـل الحفاظ على ما تبقى واعادة ما نهب.

ولقد اصبح هـذا اليوم وهـذه الذكرى وهـذه الاحتفالات شارات بارزة ومميزة في تاريخ الشعب العربي الفلسطيني بأسره، ولهذا فلا تقتصر احياء الذكرى على نصف المليون وانما تحييها كل جماهير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة وفي كل اماكن تواجدها ، وتحييها القوى الوطنية في العالم العربي والقوى التقدمية الدمقراطية في اسرائيل وكل دول العالم. وقد احتل هـذا اليوم، الرمز ، مكانا بارزا في الثقافة العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص. فعن الارض ويومها الخالد كتبت عشرات القصص والقصائد ونقشت عشرات الاعمال الفنية وصدحت حناجر الفنانين باغاني الارض ، الامر الذي يؤكد على سمة بارزة من سمات شعبنا وهي الارتباط الوثيق بين هـذا الانسان وهـذه الارض، فهو ليس ارتباطا تلقائيا وحسب وانما ارتباط ثقافي وحضاري وسياسي وانساني يحول معركته في الدفاع عن الارض الى معركة للدفاع عن الحياة والكيان. ولا شك أن هـذه المعركة، وان تعرضت احيانا الى انتكاسات أو اذا واجهت تحديات أعنف وأقسى ، الا انها، وفي نهاية الامر، ستكون هـي المنتصرة ، لانها هي العادلة.

«الجديد»

### فلسطين في العهد العثماني

# عهد احمد الجزار او بداية مركزية السلطنه

بقلم الدكتور: إميل توما

تسلّم احمد الجزار ولاية عكا بعد اغتيال ظاهر العمر زعيم الدويلة الزيدانية في أوائل ايلول ١٧٧٥.

رسمت خلفيته طريقه منذ البداية.. فقد بدا حياته العسكرية والسياسية مملوكيا بشناقيا من البوسنة (يوغوسلافيا اليوم) في الاستانة ثم انتقل الى مصر في اطار تنقلات المماليك من اقليم الى اقليم باوامر من السلطنة او نتيجة نسق حياة هذه الفئة العسكرية المرتزقة التي كثيرا ما كانت تقرر نشاطها بوحي من انتهازيتها وروحها المغامرة.

وتروى القصص التاريخية، وهي مادة موضوعية وان نقصها الاسناد العلمي، ان هذا المملوك اكتسب كنيته – الجزار – في مصر حيث اقترف الجرائم الوحشية خلال مساهمته في القضاء على الانفجارات المملوكية في ذلك الاقليم العربي قوميا والعثماني سياسيا.

وحسب بعض الروايات انتقل الى الشام هربا من الخطر الذى أحدق به في مصر بسبب الحقد العنيف الناجم عن مجازره.. وهذا الانتقال تزامن مع نشوء الاوضاع الداخلية والخارجية التي مكنت السلطنة من القضاء على دويلة ظاهر العمر.

وتشير المعطيات الى أن تعيين الجزار واليا على عكا لم ينه حكم الزيادنة.. فقد استمر ابناء ظاهر العمر في حكم مقاطعات الساحة الفلسطينية (الشمالية في الاساس) باستثناء المدينة الحصينة، واعتبروا ظهور الوالي الجديد فيها ظاهرة عابرة، ان لم تكن اجراءا استفزازيا كما يذكر بعض المؤرخين.

وكان مصدر قوة ابناء ظاهر العمر معاقلهم اولا، وتاييد الاهالي ثانيا ويذكر محمد كرد علي في كتابه "خطط الشام" ان علي ظاهر العمر بنى قلعة صفد الباقي شيء من اثارها حتى اليوم، وبنى شقيقه صليبي سرايا الصفرية في طبريا وبنى شقيقهما عثمان قلعة شفاعمرو بل البلدة وشيّد سعد قلعة دير حنا.. (الجزء الثاني ص ٣١٤).

ويذكر غيره من المؤرخين ان جيش الجزار تألف من المماليك والمرتزقة من البشانقة والارناؤوط والاكراد والمغاربة، في حين كانت قوات ابناء ظاهر العمر وبخاصة علي الذى حارب الجزار بضراوة تتالف من ابناء البلاد وتسمى "عساكر العرب". حسب ما ذكر الكاتب المعاصر سعيد افندى حين وصف معارك الجزار وعلي في مجد الكروم وابو سنان والرامة (اورد ذلك امنون كوهين في كتابه فلسطين في القرن الثامن عشر ص ٩٤).

ويلاحظ الكتاب ان نجاح ثورة علي على حكم الجزار وان لم تستمر طويلا، عادت الى ان الاهالي رغبوا في المحافظة على الحكم المحلي الذى مثله الزيادنة بجذورهم العميقة في التربة الفلسطينية فالواقع الذى لا يختلف فيه المحللون ان حكم الجزار اختلف عن حكم ظاهر العمر. ومن قبله فخر الدين المعني الثاني بانه (الجزار) مغامر غريب عن المنطقة التي توصل الى حكمها في حين ان ظاهر وفخر الدين ورثا السلطة المحلية بمقادير مختلفة عن ابويهما. (العرب والعثمانيون ١٥١٦ – ١٩١٦. الدكتور عبد الكريم الرافعي ص ٣١١).

والاصح القول ان الفرق بين الجزار وظاهر العمر يكمن في ارتباط الثاني باهل البلاد وما يرافق ذلك من حس، ولو محدود بمصالحهم بينما مثل الاول حكما اجنبيا لا روابط او وشائج تربطه باولئك الاهل .

ومع هذا نجح الجزار في ترسيخ نفوذه في الجزء الاكبر من سوريا الطبيعية .. وتحقق هذا النجاح على مراحل وعن طريق القوة العسكرية من ناحية واساليب الخديعة والاغتيال والغدر وتاجيج المنافسات بين الاقطاعيين .

وفي البداية ركّز الجزار جهوده على تصفية حكم الزيادنة .. وكان عدوه الجوهري في هذه العملية علي الذي اعتمد على تاييد الاهالي وقواته المحلية (ابناء الشعب) وحصونه في مقاومة الجزار ..

ولكن الجزار وقد اصبح والي صيدا ويتبعها الجليل استطاع اولا ان يمنع وحدة ابناء ظاهر العمر في مقاومته وتحييد عثمان صاحب شفاعمرو .. ومن ثم بدأ في محاربة علي الذي بسط حكمه على منطقة واسعة من الجليل امتدت من صفد حتى مشارف عكا واقام بينهما معاقل في مجد الكروم وابو سنان مثلا .

وفي الوقت نفسه فشل علي في اقناع والي دمشق بان يتوسط له لدى الباب العالي حتى يكسب الشرعية بفرمان سلطاني يعينه ملتزما في تلك المنطقة .

وخلال عام ١٧٧٦ دارت الحرب سجالا بين قوات علي ظاهر العمر .. وقوات الجزار .. ونجح الجزار في الانتصار في بعض منها وبخاصة ان اشقاء علي وقفوا على الحياد .. وفي نهاية المطاف قضى الجزار على علي ظاهر العمر الذي ابدى شجاعة وحنكة عسكرية فائقة باستخدامه المدفعية الثقيلة لدك حصن دير حنا .. وهذه المدفعية نقلها الجزار من الاسطول العثماني الراسي في عكا ..

ولكن علي حتى بعد استيلاء الجزار علي دير حنا لم يتوقف عن مقاومة الجزار فقد استطاع تجنيد المقاتلين من الفلاحين والمتضررين من اهالي البلاد وبمساعدتهم استمر في ضرب مواقع الجزار وقواته .. وهكذا مثلا هزم جيشا ارسله الجزار لمحاربته بالقرب من سعسع .. وخلال هذه الفترة القصيرة نسبيا تمتع علي بعطف الاهالي واصبح يهدد حكم الجزار في المنطقة كلها .. ولكن في تشرين الثاني ١٧٧٦ قام احد ضباط والي دمشق الذي تسرّب الى صفوف قواته وخادعه باغتياله في لحظة غفلة عابرة وبذلك انتهى التمرد .. الزيداني . وانتهى معه النظام الزيداني .. فقد صفّى الجزار ابناء ظاهر العمر وشدد قبضته الشديدة على الجليل .

لقد انتبه الجزار منذ البداية الى المتاولة الذين استقروا في مقاطعات جنوب لبنان الممتدة من صيدا حتى اعالي الجليل وابرزها الشقيف وشومر واقليم التفاح وبلاد بشارة .

وهؤلاء المتاولة عملوا في الزراعة وبنوا قراهم في مناطق جبلية حصينة وحافظوا على ولائهم لمشايخهم .. وفي عهد ظاهر العمر انتقلوا من مجابهته الى التعاون معه بحيث قدموا له حوالي ٦٠٠٠ مقاتل في عام ١٧٧٢ لمجابهة الهجمات عليه .

والواقع ان المتاولة في فترة ظاهر العمر، في سبعينات القرن التاسع عشر تحولوا الى قوة عسكرية اي اصبح في استطاعتهم انزال فرق مسلحة الى الميدان مما فرض على الجزار ان يجابههم خصوصا وهم على مقربة من عاصمته عكا .

ومن الطبيعي ان يشعر المتاولة بالخطر الداهم من الوالي الجديد ـ الجزار ـ وهم يشاهدون ممارسته في الجليل ويسمعون انباء وحشيته في ضرب معارضيه .

وازداد حذرهم منه بعد ان طالبهم بالميرى (بالضرائب) وهذا كان بديهيا وبخاصة بعد ان طلب الباب العالي ذلك وقرن ذلك بدعوتهم الى تدمير معاقلهم وهذا كان موضع شكوكهم وريبهم .

وكتب امنون كوهين في معرض تفسيره الاسباب التي دعت الجزار ومن ورائه السلطنة الى ضرب المتاولة والقضاء على ما يقرّب حكمهم الذاتي : رفضهم التعاون مع الجزار في محاربة امراء الدروز في جبل لبنان ... تعاونهم مع ظاهر العمر فذلك اغضب السلطان على روحهم التمردية ... قيامهم بالغزوات على ولاية دمشق واحتلالهم بعض مقاطعات في ولاية صيدا .. تخلفهم عن دفع الميرى او دفع المبالغ الباهظة التي فرضت عليهم (كتاب فلسطين في القرن الثامن عشر ص ١٠١) .

بلغت المجابهة بين الجزار والمتاولة اوجها في نهاية سنوات السبعين وبدء سنوات الثمانين من القرن التاسع عشر فعندئذ التحمت قوات الجزار مع قوات احد مشايخ المتاوله ناصيف نصار في معركة هامة بالقرب من يارون وهزمتها في ٢٣ ايلول ١٧٨١ ومضت تدمر معقلا

بعد معقل في بلاد بشاره بحيث قضت على قوة المتاولة الجوهرية.. ولم يفد المتاولة انهم صمدوا في الشقيف تحت قيادة حيدر فارس.. فقد سقط ايضا هذا الحصن.. وانتهت مقاومة المتاولة بفرار مشايخهم الى البقاع وبعلبك.

ولكن نصر الجزار الهام والحاسم نسبيا لم يكن تاما.. فقد نجح مشايخ المتاولة بالتعاون مع امير جبل لبنان يوسف الشهابي في استعادة كثير من مواقعهم وذلك بفضل تاييد الاهالي لهم وتعاونهم معه.. وخلال فترة قصيرة عاد المشايخ الى جمع الضرائب من الاهالي وبنوا قوتهم من جديد وحين تولى الجزار ولاية دمشق في ١٧٨٢ وقام بجولته التفقدية في بعض انحاء فلسطين في منطقتي القدس ونابلس انتهز مشايخ المتاولة الفرصة وقاموا بالثورة على الجزار في ١٧٨٤–١٧٨٥ ومع انهم نجحوا في الموجة الاولى الا ان قوات الجزار نجحت في القضاء عليهم، عن طريق القمع الوحشي، نجحت في تبديدهم ومسح نفوذهم تقريبا. وهذا التطور فتح الطريق امام تعيين "متسلمين" (اى جباة الضرائب) غرباء يدينون بالولاء للوالي مصدر قوتهم ازاء حقد الاهالي وتذمرهم من قساوة النظام.

وعلى الرغم من ان "المتسلمين" لم تكن لهم جذور اجتماعية وشعبية الا ان الجزار لم يكن مطمئنا على ولائهم ولهذا كان يغيرهم بسرعة حتى لا يوطدوا مواقعهم ويتطاولوا على حكمه.

ومن الطبيعي ان تقع اعباء كل هذه الاحداث على الفلاحين والحرفيين.. فالحروب دمرت القرى والمزارع ونفقاتها تحمّلها المنتجون.

وواجه الجزار في فترة حكمه مقاومة القبائل البدوية التي واصلت نهجها فكانت تتمرد على سلطته وتغزو القرى وتحاول السيطرة على مراعيها..

وانتهج الجزار ازاءها سياسة مانعة من ناحية ببناء القلاع على مقاطع طرق غزوها. وبعمليات عسكرية تهدف ضربها حين كان يتسع نشاطها. وفي كثير من الاحيان كانت تتجمع تمرد المتاولة والاهالي مع انفجارات القبائل وحين قام نابليون بحملته الثانية ووصل الى مشارف عكا في ١٧٩٩ وجد في القبائل معينا له فقد ساعده بعضها بشكل فعّال.. بينما قام بعضها الاخر بمهاجمة القوافل التي كانت تنقل المؤن الى القوات العثمانية.. وقامت بهذا الدور الاخير بخاصة قبيلة طرابين في الجنوب في ضواحي خان يونس.

وفي عام ١٨٠١ جرت احدى التمردات القبلية الكبرى في الجليل وشاركت فيها قبائل الصقر والعنيزة في منطقة جبل طابور.

وحتى حين كان ينجح الجزار في تطويق المراعي ومنع القبائل من ارتيادها الى ان يدفعوا الضرائب كانت القبائل تقوم بغزواتها الانصارية وتصيب بالضرر القرويين والفلاحين المنتجين. وحسب اخبار المعاصرين لم ينجح الجزار حتى في افضل الظروف من السيطرة النسبية على القبائل في منطقتي الرملة والقدس..

والحقيقة ان حكم الجزار لم يعرف الهدوء النسبي على الرغم من امتداده حوالي الثلاثين سنة.. ويذكر محمد كرد علي في "خطط الشام" انه من "جملة الفتن ما ذكروه (المعاصرين) من عصيان يوسف الجزار وتحصنه في قلعة صانور على مقربة من عمل جنين في (منطقة نابلس – ا.ت.)، فحاصرها الجزار بنفسه فلم يظفر بطائل فقطع اهل بلاد نابلس واخذوا ينهبون الناس فذهب الباشا (الجزار) ونهب بعض قراها وقتل اناسا كثيرين ثم حاصر صانور ثانية واصبحت بلاد نابلس في فوضى والجزار كل مرّة يغزوها ويخرّب في قراها ويقتل من اهلها ولم ينل احمد الجزار من يوسف الجزار ما كان يتطلع اليه حتى مات الجزار. قال بعضهم: ان نابلس لم تبرح بعصيانها تقلق الادارة التركية، وكان العصاة فيها يعتصمون بقلعة صانور" (الجزء الثاني ص ٢١٥).

وهذا الوصف يمكن ان ينطبق على كثير من المناطق التي دخلت في حوزة الجزار في المساحة الفلسطينية.. ويؤكد هذه الصورة المؤرخ السوفييتي لوتسكي حين كتب: "واندلعت بعدها (بعد القضاء على تمرّد الدروز في جبل لبنان) واخمدت بصورة وحشية ثورات البدو الفلسطينيين وفلاحي صيدا".

وبدون التطرق الى الاحداث التي وقعت خارج المساحة الفلسطينية بالتفصيل الا ان من الضروري ان نشير الى ان الجزار استخدم جميع اساليب العنف الوحشية لاخضاع المنطقة الواقعة في حوزته.. وهكذا ذكر لوتسكي ايضا انه "في عام ١٧٩٨ حدثت ثورة كبيرة في دمشق ورفض سكانها دفع الجزية الى الجزار" مما دفع الباب العالي الى تعيين وال جديد في دمشق وبذلك سوّى النزاع بين الاهالي والسلطة(كتابه تاريخ الاقطار العربية الحديث ص ٤٠ – ٤١).

# حملة نابليون

لقد كانت السلطنة العثمانية منذ البداية جزءا من الوضع الدولي المقرر اي الوضع الدولي الذي كان يحتل مركز الصدارة في التاريخ الانساني..فجيوشها احتلت اقاليم واسعة في أوروبا الشرقية والوسطى..ولم يتوقف صراعها مع بعض الدول الاوروبية منذ نشوئها بل ازداد عنفا واتساعا مع مرور الايام والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتواصلة في مواقع الالتقاء بينها وبين تلك الدول.

ولا شك ان الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ دشنت عهدا جديدا في اوروبا اذ ان حروبها الدفاعية اولا والحروب التوسعية التي نمت في عهد نابليون بونابرت ثانيا غيّرت تغييرا جذريا لا في افكار الشعوب فحسب بل في احوالها وتوازن قواها الطبقية وانظمتها السياسية والاجتماعية.

والى جانب احساس السلطنة العثمانية باسقاطات الثورة الفرنسية وذيولها الاوروبية بشكل عام الا ان حملة نابليون الشرقية – في مصر والشام – كانت مواجهة ملموسة بين النظام الفرنسي، الناشئ في اعقاب الثورة، والسلطنة العثمانية التي كانت تعاني، ومنذ وقت طويل، الازمات العميقة الناجمة عن احتدام الصراعات الاقطاعية وما ولدته من محاولات لسلخ بعض الاقاليم عن السلطنة، ومن تمردات شعبية بضغط الاقطار والارهاق والتنكيل الذي كان من حصة الفلاحين والحرفيين وسائر الفئات المسحوقة في جميع أقاليم "العثمانية".

ونستطيع ان نقرر ان اتساع عملية تهافت الدول الاوروبية القوية على احتلال الاقطار المتخلفة نسبيا في اميركا وأفريقيا وآسيا وتبلورها في الكولونيالية الوحشية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وضعت على جدول الاعمال في بعض الدول الاوروبية مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا مسالة احتلال اقاليم السلطنة العثمانية..وبعد أن نجحت البرجوازية الفرنسية اليمينية في القضاء على جناحها الديمقراطي اشتدت مطامع فرنسا الكولونيالية التي غابت عن السطح السياسي فترة الثورة والصراع بين اجنحتها.

ولهذا كانت حملة نابليون الشرقية، فردية او جزءا من مناورات مراكز القوى التي نمت في نهاية القرن الثامن عشر في اطار عملية توطيد النظام الراسمالي، بعد الثورة، بل كانت تعبيرا عن مطامع الطبقة الحاكمة الكولونيالية..



بونابرت بالزي التركي في مصر
يقسم على القرآن الكريم

ومن المؤكد ان عنصر معاداة بريطانيا، التي ساهمت في ساندة القوى المضادة للثورة الفرنسية، قام بدور هام في توقيت هذه الحملة.. فمن اهدافها كان ضرب المصالح الكولونيالية البريطانية عن طريق قطع مواصلات الامبراطورية البريطانية النامية آنذاك في احد مراكزها الهامة في آسيا – الهند..

ونجح نابليون – الذي وصل بقواته الى الاسكندرية في الاول من تموز ١٧٩٨، في احتلال مصر.. وكان من اسباب نجاحه السريع ضعف النظام الاقطاعي المملوكي في ذلك القطر وتذمر الاهالي الشديد من اعباء ذلك النظام وفساده.

وفي الوقت نفسه بذل نابليون قصارى جهده من اجل اقناع اهالي مصر بحربه على امانيهم القومية والاجتماعية. وفي بياناته وباجراءاته اعلن حرصه على تصفية الظلم المملوكي، وحماية الدين الاسلامي واشاعة الديمقراطية والاهتمام بمصالح الناس. ومن المشكوك فيه جدا ان يكون نابليون في سبيل الفوز بثقة اهالي مصر ان يكون قد اسلم ولو شكليا، والتوقف عند هذا الامر لا فائدة منه فذلك لم يؤثر على التطورات..

ونعتقد ان قرار نابليون المبادرة الى القيام بحملته الشامية يعود الى الاعتبارات نفسها التي حركت الحملة الفرنسية في مصر.. وتوقيتها نجم عن شعور نابليون بعد ان دمر الاسطول البريطاني الاسطول الفرنسي في ابي قير ان عليه ان يوسع منطقة احتلاله في الشرق حتى يخلق الاوضاع السياسية والاقتصادية لتزويد قواته المسلحة بحاجاتها المادية ــ وبخاصة العسكرية.

وهناك ما يشير الى ان "لو تيسّر لنابليون فتح عكا لما وقف في تيارات فتوحاته في آسيا عائق، ولادى به الحال الى الاضرار الصحيح بمراكز الدولة العثمانية" (فتح مصر الحديث، احمد حافظ عوض، القاهرة، ١٩٢٦، ص ٣١٦).

وعلى كل حال هكذا تصور الامر نابليون فقد جاء في مذكرات زميله الجنرال بوريين قول نابليون خلال محادثتهما: "بوريين.. اذا نجحت في فتح هذه المدينة عكا، كما اعتقد انني سانجح فانني ساجد فيها كنوز الجزار، واجد اسلحة تكفي لثلاثماية الف جندي، عندئذ اهيج اهالي سورية الذين يبغضون الجزار لظلمه ويسألون الله صبح مساء ان انجح في دخول عكا، ثم اسلح منهم جيشا عرمرما واقصد دمشق وحلب فينضم الي القوم كمخلص لهم من المظالم ثم اسير بجيوش لفتح الاستانة وانشيء في الشرق امبراطورية عظيمة الشأن" (أورد ذلك الكاتب المذكور أعلاه ص ٢٩٠).

ومثلما فعل حين وصل الى مصر، اصدر نابليون بياناته لتوضيح اهداف حملته الشامية التي شرع فيها في ١٠ شباط ١٧٩٩.

واعلن بهذه البيانات ان هدفه هو تصفية "نظام المماليك" في سوريا كما فعل في مصر. وتخليص الاهالي (من مسلمين ومسيحيين ودروز) من ظلم الجزار وجرائمه.

وتحاشى نابليون الاشارة الى السلطنة العثمانية حتى لا يتهم بمحاولة محاربتها.. ويثير قطاعات سياسية قد لا ترغب في الظهور بمظهر معاداة السلطنة..

وحتى يحبط تحريض الجزار والسلطنة عليه بشعارات دينية اسلامية كما وقع فعلا، اختار عددا من العلماء المسلمين بينهم الشيخ عبدالله الشرقاوي والشيخ محمد المهدي لمرافقته ليوهم المسلمين أن رجال الدين الاسلامي (المصريين) يباركون حملته..

ولا نظن ان مناورة نابليون هذه او تحريض السلطنة على نابليون بدعوى انه يريد "تدمير امّة الاسلام" قائما بدور ما، في نتائج الحملة.

ومن المهم هنا ان نلاحظ عددا من المعالم الاساسية التي طبعت هذه الحملة وقررت مصيرها..

○ برهن نابليون على عبقريته العسكرية فاستطاع بقوات عسكرية بلغت ١٣ الف جندي فرنسي ان يستولي بفترة قصيرة على الساحل الفلسطيني الممتد من العريش حتى مشارف عكا..

○ وهكذا بعد شهر واسبوع تقريبا من مغادرته مصر بدأ محاصرة عكا. فقد غادر مصر كما ذكرنا في ١٠ شباط ١٧٩٩ وبدأ محاصرة عكا في ١٩ آذار ١٧٩٩.

○ وحتى يافا الحصينة التي تجمعت فيها القوات التي فلتت من الطوق العسكري في غزة لم تصمد طويلا امامه فاحتلها بسرعة وقضى على قواتها العسكرية التي ماثلت قواته العسكرية عددا وعدة وكانت تتمرس وراء حصون منيعة.

○ ونتصور ان المجزرة التي ارتكبتها القوات الفرنسية في يافا وسوغتها المصادر الفرنسية بغضب نابليون على المدافعين عليها لانهم قتلوا وفدا عسكريا فرنسيا دخلها لمفاوضة قادة حاميتها على التسليم.. ان هذه المجزرة اثارت مخاوف وقلق المدافعين عن عكا وشددت من مقاومتهم كما انها اساءت الى انطباع الاهالي الذين ارتابوا بمزاعم نابليون انه يريد تخليصهم من المظالم والتعسف الجزاري.

○ ولم يغيّر انتصار نابليون الباهر في معركة طابور حيث قضت القوات الفرنسية وبلغت ستة آلاف جندي على قوات السلطنة العثمانية وبلغت ٣٠ الف جندي من مصير الحملة.. فهذه المعركة لم تؤد الى زعزعة صمود عكا

ــ البقية على صفحة ٤٦ ــ

# عن كتاب
# السجن ... الوطن ..
## للكاتبة المصرية فريده النقاش

**شهدت السنوات الخمس الاخيرة صدور عدد من الكتب يتناول كتابها تجربتهم في السجون والمعتقلات بسبب ارائهم ومواقفهم السياسية. ويبدو أن الدافع الاهم وراء تسجيل هذه التجارب ليس هو اشراك الاخرين في التجربة باطلاعهم على تفاصيلها وفتح عيونهم على حقيقة الذي حدث، مع توفر هذا الدافع ومشروعيته، بل الدافع الاهم هو الاسهام في المطالبة بما أصبح حاجة شديدة الالحاح الا وهي الديمقراطية.**

ومن هذه الكتب التي تعرض اساسا لتجربة الشيوعيين المصريين في الفترة من ١٩٥٩ الى ١٩٦٤ في مختلف سجون مصر وفي الواحات بالذات "شيوعيون وناصريون" لفتحي عبد الفتاح، و "الاقدام العارية: الشيوعيون المصريون خمس سنوات في معسكرات التعذيب"، لطاهر عبد الحكيم، و"رسائل الحب والحزن والثورة" لعبد العظيم انيس الذي يقدم تجربته عبر الرسائل المتبادلة بينه وبين زوجته عائده ثابت اثناء فترة سجنه. و "رسائل سجين سياسي الى حبيبته" لمصطفى طيبه، وليست الرسائل هنا رسائل فعلية بل اطار سردي لعرض تجربته. اما شريف حتاته فيختار شكلا روائيا لما خبر في المعتقلات والسجون ويسجله في رواية من ثلاثة اجزاء هي "العين ذات الجفن المعدنية".

(وكجزء من نفس التيار ظهر كتاب "دفاتر فلسطينية" لمعين بسيسو عن تجربة شيوعيي غزة الذين نقلوا الى مصر حين القي القبض عليهم واودعوا نفس السجون التي اودع فيها الشيوعيون المصريون. كذلك صدر قبل شهور فقط "البدايات: سيرة ذاتية.. أربعون سنة في الحركة الوطنية الاردنية" للدكتور يعقوب زيادين من قادة الحزب الشيوعي الاردني. ويعرض الدكتور زيادين لحياته النضالية منذ عام ١٧٤٣ حين بدا نشاطه الحزبي حتى وقتنا هذا مرورا بسجنه المتكرر في معتقل الجفر. بصحراء الاردن وسجون عمان والزرقاء، وفترات اختفائه، ونشاطه المكثف في الخمسينات حين انتخب نائبا في البرلمان عن مدينة القدس.)

ثم تأتي لكتاب فريدة النقاش "السجن.. الوطن..".

(دار الكلمة/دار النديم، بيروت ١٩٨٠) الذى يشكل حلقة جديدة في هذا النوع من الكتابة في ادبيات الثورة العربية، الذى يكشف عن التجارب النضالية لاصحابها ويقدّم شهاداتهم على واقع المرحلة وعذاباتها فما هو الجديد في هذا الكتاب وما الذى تضيفه فريده النقاش الى من سبقوها في الكتابة في الموضوع؟

هذا الكتاب هو أول شهادة تقدمها امرأة عربية على تجربتها في السجن، فالنساء اللاتي شاركن في النضال السياسي وتعرضن للحبس، اقل عددا بكثير من الرجال، ولم تكشف لنا اى منهم عن تفاصيل تجربتها بالكتابة.

يضم كتاب "السجن.. الوطن.." اقساما ثلاثة، يشمل القسم الاول بالاضافة الى "التجارب الاولى" فصلي "التحقيق" و "المحاكمة" وفيه تتعرض الكاتبة الى القاء القبض المتكرر على زوجها الصحفي حسين عبد الرازق ومساءلتها امام المدعي العام الاشتراكي ثم القاء القبض عليها والتحقيق معها وسجنها ومثولها مرتين امام المحكمة كمتهمة سياسية. والقسم الثاني "رسائل من السجن" يضم رسائلها الى زوجها وطفليها والى آخرين ايضا. امّا القسم الثالث فيدور حول واقع المسجونات البائس بسجن القناطر للنساء.

ويكشف ترتيب الكاتبة لتجربتها عبر هذا البناء (الاقسام الثلاثة) كما يكشف مضمون الكتاب ككل عن وفائها للجوانب المتعددة لحياتها.

ففريده النقاش المناضلة السياسية والزوجة والام والصحفية حاضرة في الكتاب بهذه الصفات جميعا، لا تنكر ايا منها بل تحتضنها كجزء من وجودها المتعدد الغني. احيانا تطغى المناضلة ويعلو صوتها ـ اكثر مما يجب حتى ـ وهي

تحدث طفلها في رسالة، واحيانا تبرز الام فيهز كل افعالها وردود افعالها رحابة الانسان الذى يعرف كيف يحب . . حب الامهات . ثم تتصدر الصحفية ترصد واقع السجن وتسجل وتكشف وتحلل . هكذا لا يغيب عن قارئ الكتاب ابدا حقيقة ان هذه المناضلة ام تمتد أمومتها لتصبح شعورا بالمسؤولية تجاه الناس. وان هذه الام المناضلة يتحول نضالها الى استعداد للتضحية يقربها من اطفالها من اجل قضية اكبر .

ولكن ما الذى دفع بفريدة النقاش الى الاسراع هكذا في تسجيل تجربتها . في تقديم الكتاب؟ تقول انها تبغي فضح الاكذوبة الكبيرة التي يروجها النظام في مصر بشأن طبيعته الدمقراطية وما يوفره للمواطن من حريات عامة .

"ان تجربتي الخاصة المحدودة للغاية منذ عام ١٩٧٢ تقول بغير ذلك على طول الخط فمع امتناني للمحاكم والقضاة الشرفاء ، افتقدت اسرتي الصغيرة منذ ذلك التاريخ اى احساس بالامن والامان، وكان علي انا وزوجي واطفالي واسرتينا واصدقائنا، ان نصنع لانفسنا امانا خاصا، وان نحيط حياتنا بتلك المباهج والمشاعر والتحصينات المعنوية التي تحمينا من الارهاب المتصل الذى وقع علينا طيلة هذه السنين باشكال مختلفة، حتى اننا اضطررنا ان نقدم لطفلينا جرعات كبيرة من المفاهيم السياسية السابقة لاوانها في عمريهما، وان نملأ حياتهما الروحية والعقلية بصور الصمود والبطولة، وان نختزل الكثير من مباهج الطفولة في حياتهما، وكنا نود كابوين عصريين ان نترك لهما باكبر قدر من الحرية حق الاكتشاف وان لا نقدم مسبقا رؤيتنا نحن . " (ص٩)

ثم تعرض فريده النقاش لما تعرضت له هي وزوجها حسين عبد الرازق ، الصحفي والعضو القيادى في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوى، الذى القي القبض عليه في ١٩٧٢ بتهمة المشاركة في الاحداث الطلابية التي هزت البلاد آنذاك . وفي ١٩٧٣ فصلت هي وزوجها من الاتحاد الاشتراكي ، وفي ١٩٧٥ نقلا من جريدة الجمهورية الى جريدة الاخبار ومنعا من الكتابة . وفي يناير ١٩٧٧ القي القبض مرة أخرى على حسين عبد الرازق بتهمة التحريض على احداث ١٨ و ١٩ يناير .

وفي يوليه ١٩٧٨ تم استدعاؤها الى مكتب المدعي الاشتراكي وحقق معها في أمر سلسلة من المقالات نشرتها في جريدة "السفير" عن الغناء السياسي في مصر، ووضع اسمها في قائمة الممنوعين من السفر. ثم القي القبض عليها وقضت ليلتين في مبنى المباحث العامة لمساءلتها في امر مجموعة دراسات لباحث مصرى حول الاثار السلبية للمعاهدة المصرية- الاسرائيلية كانت قد سلمتها لمدبولي بائع الكتب لكي يعطيها الى شخص مسافر الى بيروت لتوصيلها الى مجلة "دراسات عربية" .

وفي ١٦ اغسطس ١٩٧٩ القي القبض عليها هي وزوجها وهما على شاطئ البحر بجمصة، وترك الطفلان رشا وجاسر بمفردهما . وهاجمت قوات المباحث بيتهما في القاهرة للمرة الثالثة من العام نفسه ،وتم الاستيلاء على أوراقهما الخاصة وأصول مقالات ومخطوطات كتب معدة للنشر .

وتم حبس فريدة النقاش خمسة ايام في سجن القلعة ثم شهر ونصف في سجن القناطر للنساء . .ولما حكمت المحكمة بالافراج اعترض رئيس الجمهورية فعادت الى السجن مرّة أخرى ثم عادت المحكمة فحكمت بالافراج .

لا تزال قضية الحزب الشيوعي المصرى المتهم فيها ٣٠ من خيرة المناضلين المصريين منظورة امام محاكم امن الدولة وهي محاكم استثنائية . والتهمة الموجهة الى فريدة النقاش هي عضوية المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصرى .

واذ تسرد الكاتبة وقائع نضالها ونضال زوجها السياسي لا تغفل عن سرد التفاصيل الدالة التي تقوى القلب أو توجعه فنعرف أن النضال الى جانب كونه عملا صامتا ودؤوبا واعلان موقف ومظاهرة صاخبة هو أيضا فرح لقلب ودفء كالشمس في يوم شتائي ، وتفاصيل موجعة تطلب التحمل ، تحمل الانبياء احيانا .

فكم هو دال ذلك المشهد الذى تصفه فريده والطلاب يتسلقون قضبان زنازينهم العالية في سجن الاستئناف عام ١٩٧٢ ويغنون أغنية الشيخ امام الجديدة "رجعوا التلامذة . . يا عم حمزة للجد تاني" والاغنية الجديدة ليست بالجديدة فقد كان الطلاب في ثورة ١٩١٩ يرددون شبيهة لها . والمطعم الصغير المواجه للسجن والذى يعد المسجونين السياسيين وزوارهم بالاكل لا زال في مكانه، وصاحبه "عم حمزة" هو حفيد "عم حمزة" في أغنية سيد درويش .

ثم هو دال أيضا وموجع ذلك المشهد الاخر الذى تصطحب فريده ابنها جاسر البالغ حينذاك ثمان سنوات لكي يرى – الاصح يلمح – اباه من خلف قضبان السجن : "كان المشهد حزينا . .همس جاسر . .ياه كل هذه القضبان انها عالية جدا . .المسافة بعيدة الى حد كبير وهو لا يستطيع ان يميز ملامح ابيه بسهولة . .لقد اخطات . .لم تكن احزان المشهد عائدة الى الابوة والبنوة المحاصرة فحسب وانما كذلك الى وجوه، امهات ريفيات كثيرات وقفن في انتظار الدور وهن متشحات بالسواد تائهات وكانما احتمين من المدينة الغريبة المزدحمة بهذا السور الطيني المتآكل وبالنداءات المتكررة واسماء ابنائهن . " (ص ٢٨)

يضم القسم الثاني من الكتاب المعنون "برسائل السجن" تسع رسائل كتبتها فريدة النقاش اثناء وجودها بسجن القناطر، منها ثلاث رسائل الى ابنها جاسر ورسالتان الى ابنتها رشا ورسالتان الى زوجها ورسالة الى اخيها رجاء واسرته ورسالة الى صديقهـا الكاتب المسرحي محمود دياب.

والملفت والموءثر في هذه الرسائل هو الدور السند الذى تصر الكاتبة أن تقوم به حتى وهي وراء قضبان السجن. فهي تساند طفليها وترفع من روحهما المعنوية وتشجعهما وتعلمهما الايثار والرحابة وتقدم، مضطرة كما تقول هـي نفسها في سياق آخر، الى اعطائهما جرعات كبيرة ــ اكثر مما يصح في احوال اخرى ــ من الدرس السياسـي. وهـي تكتب رسالة الى الكاتب المسرحي محمود دياب وقد رات كلمات من احـدى مسرحياته منقوشة على جدار الزنزانة.

وتكشف رسائل فريدة الى زوجهـا عن شـيء من هذه الرهافة الداخلية المختفية في الغالب وراء صلابة المناضلة والصوت المعلم للام: "هل تتحدث الى القمر" احيانا تغمرني نزعـة رومانتيكية غلابة واتحدث الى القمـر، فهو يبزغ كل ليلة من ناحية شـباك زنزانتي فاحدثه عنك سرا واعرف انك تراه. وان جاسر ورشا ايضا يريانـه فتغمرني الراحة.. واقول لقد فشلت خططهم جميعا. .فلم يتغير شيء. هذا القمر كنا نحدو نضجه في جمعه كل ليلة معا ونتابعه حتى يغيب في البحر وها نحن من جديد نراه. .نتابعه حين يبزغ وحتى يغيب في كثافة الاشجار والفضاء البعيد. .فهل تغير شيء؟"

ثم في نهاية الرسالة "يبقـى انني افتقدك بصورة غامرة تفيض احيانا دموعا صغيرة لكنها لا تطول ولا يراها احـد. .اتفقنا ان نكون جميعا هنـا ومهما كان قلقنا الخاص ــ جديرات بالتهمة الموجهة لنا.." (ص ٨٠)

اعادتني رسائل فريدة النقاش الى رسائل اخرى نشرت قبل عدة اعوام في كتاب بعنوان "رسائل من السجن" لطبيبة نفسية ومناضلة يسارية اسبانية هي ايفا فورسـت. ولقد القي القبض على هذه السيدة وعلى زوجها الكاتب المسرحي في نفس اللحظة، ساقوهـا الى الحبس الانفرادى في سـجـن للنساء وساقوا زوجها الى سـجن آخر. وكان ولدها الاكبر الذى لم يبلـغ العشرين يدرس الطب في كوبا، واضطر الاهل والاصدقاء الى تهريب الابـن الثاني الى روما خوفا عليه من بطش نظام فرانكو الفاشـي، في حين ابقوا في رعايتهم الابنة الثالثة والبالغة من العمر اثنتا عشرة سـنة.

وفي مواجهة هذا الشتات العائلي الفادح بدات ايفا فورست تعمل على لم شـمل الاسرة من خلال رسائلهـا التي تحولت الى تجربة مشتركة تعيد الى افراد الاسرة شيئا من حياتهم معا. كانت ايفا ترسل بخطاباتها الى احـد الاقارب وتطلب منه ان يصـورهـا ويستخرج نسخا بعدد افراد الاسرة ثم يرسـلها الى كل منهم اينما كان. فان تحدثت ايفا مع ابنها الطالب في هافانا اشركت ابنها الاخر وابنتهما الصغيرة وزوجها في الحديث، ليس بالتوجـه اليهم جميعا في كل رسالة بل باطلاعهم جميعا على كل الرسائل الموجهة منها الى اى منهم. فقط رسائلها الى زوجها لم تكن مشاعا اسريا. ولكنها في المقابل كانت تنقل وتلخص لاولادها ما تراه مناسـبا مما ورد في هـذه الرسـائل.

وكانت ايفا فورسـت في رسائلها ايضا تعلم وتربي وتشجع وتساند وتحب وتعمل، كما تفعل فريدة النقاش، على تعويض مساحة الحنو العاطفي والتوجيه النفسي التي فرغت بغياب الام في السجن.

والحقيقة أن رسائل فريدة النقاش والام فيها التي تتبدى على مدى الكتاب في علاقتها بالواقع عمومـا ورسائل ايفا فورست وجدت صدى خاصا في نفسي المشغلة بواقع المرأة العاملة والمناضلة والام، وجدلية العلاقة بينهـا وبين العالم المحيط. ورجحت هذه الرسائل، وما وراءها من تجربة، قناعة لدى او شيئا من قناعة (فهي لم تتبلور نهائيا) بان المراة المناضلة تصل الى قدر من التكامل والنضوج عادة ما يتجاوز الرجل. فهي تنصهر في اتون اكثر حرارة وتعاني اكثر امام مسوءولياتها المتعددة في العمل والنضال والاسرة. وفي حين يستطيع المناضل الرجل أن يتخفف من مسوءولياته الاسرية (وهذا ما يحدث دائما) او يتنكر لهذه المسوءوليـات (وهو ما يحدث كثيرا) بالقاء العبء كاملا على الام فان المراة المناضلة لا تعفى نفسها ولا احد يعفيها من هذه المسوءوليات.

هكذا تبقى المراة ملتزمة بعملها الوظيفي ونضالها الحزبي وامومتها وفي الغالب ملتزمة ايضا بتنظيف البيـت وغسيل الملابس واعداد الطعام، ولان الامر مرهق ومشتت فقد ينتهي بها تجر قدميها وقد تخلفت عن ركب رفاقها من الرجال الذين كانوا اندادا لها. ولكنها حين تقدر على المواصلة والايفـاء بمسوءولياتها المتعددة فانها تبدو لي في هذه الحالة انضج واكثر تكاملا.

وفي القسم الثالث من الكتـاب المسمى بـ"صور من السجن" تطرح فريدة النقاش الصحفية عددا من القضايا منها قضية المراة وموقف الرجل منها وموقفها من نفسها، وفساد السجن والاسـتغلال البشع للنزيلات، والواقع المتردي البائس اللاانساني يعشن فيه.

والحقيقة ان فريدة النقاش فـي هـذا القسم من كتابها تحملنا الى عالم سـفلي مفزع هو جحيم يطلقون عليه اسـم سـجن ويدعون انه مكان للاصلاح والتقويم. ينتقل قلم الكاتبة بسرعة من صورة الى اخرى يعيد الى الحياة على

الورق شخصيات بائسة تثير الغضب او النفور.

فهذه فتاة تمسك بشفرة خياتها طويلا وتجرح ثدييها عن عمد ثم تبتلع قطعة من الشفرة.

وتلك امراة تغني للنساء غواية وشبقا.

وهاتيك فتيات مصدورات هزيلات وطفل يدخل عامه الثاني ولم ير من العالم الا عنف السجن وبؤسه، يمسك باذيال امه السجينة. وقوادتان سمينتان جدا تصليان الفروض بانتظام، تخشيان الموت لانهما مريضتان بالقلب، يسمع صوتهما عاليا وحارا وهما تصليان الفجر.

وسجانة مترهلة اسلمت نفسها لبلادة الجسد والروح، وامراة جميلة في العشرين مصابة بالسل والسكر والضغط تبيع اكلها لتشترى السجائر، وهي مشروع راقصة وشاعرة تحمل اسم ابنتها وشما على ذراع واسم زوجها وشما على ذراع، ثم تموت.. في العشرين.

عالم سفلي من الوحشة والتعاسة والهلع الداخلي والبذاءة، ورقة وحنان بلا منافذ يتحولان الى قسوة وعنف موجه ضد الاخرين وضد الذات.

وتقدم الكاتبة هذا العالم لقرائها تارة من خلال سكيتشات سريعة للشخصيات التي تعيش فيه، وتارة من خلال ما توفر لها من معلومات مباشرة عن واقع الحياة فيه اجمالا فتحكي لنا كيف يواصل التجار المحبوسون تجارتهم داخل السجن وكيف تزدهر فيه تجارة الحشيش والحبوب المخدرة بشكل خاص. "قالت احدى التاجرات (داخل السجن) ان ارباحها الشهرية تتراوح ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ جنيه شهريا" (ص ١١٠)

والسجن، تقول فريدة النقاش، غال جدا لان المواد التموينية كلها مادة للتجارة في السوق السوداء، فتباع المخدرات باثمان باهظة، ويباع الشاي والسكر والدخان باضعاف ثمنها اما الكيروسين فيباع بمائة ضعف ثمنه خارج السجن. اما الادارة فهي متواطئة في الغالب مع التاجرات.




وفي السجن نظام طبقي صارم يبلغ فيه الاستغلال حدا بشعا وتعمل النزيلة الفقيرة التي لا مورد لها من الخارج ولا احتكار تجارى لها في الداخل عشرة اضعاف مثيلاتها، وتتحول الى خادمة خصوصية للتاجرات.

"وتتعرض السجينة الفقيرة بالاضافة الى كل هذه المذله للابتزاز من قبل السجانات اللاتي يفرضن اتاوات منتظمة على السجينات جميعا بلا استثناء – ما عدا السياسيات – اما اذا فشلت السجانة في الحصول على شيء من السجينة الفقيرة فانها تستكتبها رسائل الى اسرتها في الخارج او الى من يعولها لتبتز اموالها.

ومعظم السجانات يقمن بجلب الفلوس" من الخارج رغم أن تداول العملة ممنوع رسميا، وتحصل السجانة على ٣٠ ٪ فائدة وتصل احيانا الى ٥٠ ٪ من المبلغ المجلوب، وتزيد على ذلك اذا كانت السجينة في حالة ضيق شديد أو احتياج عاجل للفلوس. ولهذا نجد أن الغالبية العظمى من السجانات يتحلين بذهب كثير، واذا سألت واحدة منهن كيف تعيش وكم عدد ابنائها تكتشف أن معظمهن وخاصة اللاتي قضين وقتا طويلا في هذا العمل يملكن قطعا صغيرة من الارض في قراهن او يبنين بيوتا صغيرة في اطراف المدينة

وهن جميعا بلا استثناء – مثلهن مثل التاجرات الكبيرات سمينات جدا ولهن كروشا ضخمة وكثيرا ما يرتطم بها الذهب وعيون شرهة.

وبالاضافة الى عمليات الابتزاز الخارجي فهن ياكلن في جميع العنابر، تدخل السجانة الى اى عنبر وفي اى وقت تشاء وتطلب الطعام والشاى على ارتفاع اسعاره وندرته وتنام احيانا اذا راق لها السرير او البرش". (ص ١١٤)

هذا هو السجن، نموذج صارخ ولكنه دال على قدر البؤس والمهانة والتردى الذى يفرض على الكثيرين في هذا الوطن، ولكن في السجن ايضا رجال ونساء يصنع نضالهم شيئا من فرح عز في سنوات عجاف. وكم كانت عارفة فتحية العسال حين اطلقت زغروده عالية وهي ترى المتهمين يدخلون الى قاعة المحكمة. كانت المراة حكيمة تعرف ما الذى يحمل للقلب الطيب الفرح وللوطن المتعب السلامة.

فسلاما ايها الوطن..

وسلاما يا فريدة..

(عن اليسار العربي)

**احداث * نشاطات * منشورات * مهرجانات * مكافأة ارجاء العالم ..**
**تصل الينا اخبارها عبر الجو .. وفيها ما يشد الانتباه ...**

# الفنان الفلسطيني محمد الشاعر
## اللوحة الفلسطينية الملتزمة ، هي التي تجسد آمال شعبنا .

محمد الشاعر فنان تشكيلي فلسطيني اشترك حتى الان في ١٢ معرضا دوليا ابرزها في الاتحاد السوفييتي والمانيا الشرقية وبولونيا والبرتغال وجنيف والكويت . سئل عن الالتزام في الفن ، فاجاب : — اللوحة الفلسطينية الملتزمة هي التي تستطيع أن تجسد بشكل صادق طموحات وآمال شعبنا ومسيرة ثورتنا .

وفي لقاء مع "الوطن العربي" ، سئل :


وجه جنوبية لمحمد الشاعر


... انه الحزن

أم فلسطينية



— يلاحظ في لوحاتك التركيز على الانسان اللبناني خصوصا الجنوبي ، أكثر من الانسان الفلسطيني ، فكيف ذلك ؟

القضية واحدة ، والمصير واحد ، والمؤامرة واحدة ، خصوصا في فترة الحرب ، فعندما اعبر عن الانسان اللبناني الذى يعاني المؤامرات والقصف والتشرّد ، فانني أعبّر في الوقت نفسه عن الانسان الفلسطيني الذى يعيش في مخيمات الجنوب او في الارض المحتلة ، ويعاني الوضع نفسه ، اشعر ان لا فرق بين أرض الجنوب وفلسطين المحتلة ، والانسان الجنوبي الذى أرسمه هو نفسه الانسان الفلسطيني المقهور والمشرّد .

— اين موقع الفن التشكيلي الفلسطيني بالمقارنة مع الفن التشكيلي العربي والعالمي ؟

الفنان الفلسطيني يتمتع بكفاءة وقدرة فنية عالية وليس هناك مدرسة فنية في العالم لم تستقطب فنانا فلسطينيا يرسم من ضمن خطها ونهجها ، وهذا سببه توزع الفنانين الفلسطينيين في العالم .

لكن هناك تمايزا بين الكفاءة الفنية والتقنية الفنية ، واللوحة المكتملة ، فاللوحة تحتاج الى موضوع كامل .

ومن هذه الزاوية هل اصبح للفنان الفلسطيني لوحة خاصة او مدرسة خاصة ؟ حتى الان هو يسعى لان يبني مدرسة وهو يسعى الى اسلوب مميز . ورأيي انه لن يصل الى هذا المستوى الا بمزيد من الالتزام بالقضية الفلسطينية ومعايشة شعبنا في أوضاعه السياسية والاجتماعية كافة .

# العدد الاول من مجلة الكرمل

صدر العدد الاول من مجلة "الكرمل" الفصلية الثقافية، عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين برأس تحريرها الشاعر محمود درويش ويدير تحريرها الكاتب الياس خوري.




يضم العدد مجموعة من الدراسات حول: "الاسلام والغرب"، "الانتاج الروائي والطليعة الادبية"، "نزعة الخضوع في رواية نجيب محفوظ"، "موقفان وطريقان — المتشائل ووليد مسعود"، "الله والثورة والشعر"، "البدو في ادب الاطفال الاسرائيلي"، "يوسف ادريس — بحثا عن اليقين المراوغ"، "الحركة المسرحية في المناطق المحتلة"، وغيرها. كذلك يضم العدد حوارا مع الكاتب اميل حبيبي، وثلاث قصص فلسطينية وأربع قصائد للشعراء سعدي يوسف وعز الدين المناصرة وأمل دنقل ومحمود درويش ومختارات من الشعر اليوناني الحديث.

---

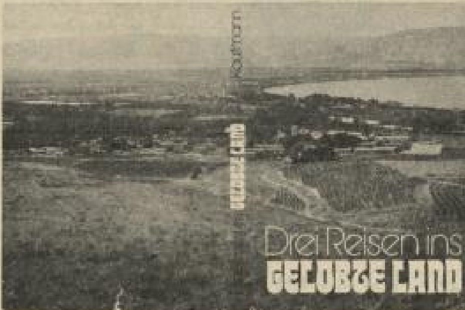
## حسين مروة: شهادات في فكره ونضاله

صدر حديثا عن دارالفارابي كتاب "حسين مروة، شهادات في فكره ونضاله"، اشترك في كتابته: محمود امين العالم، طيب تيزيني، مهدي عامل، احسان عباس، حنا مينه، احمد ابو سعد، يمنى العيد، ابو سلمى، غاده السمان، حسن الامين، حبيب صادق، كرنيك عطاريان ومحمد دكروب.

# ثلاث رحلات الى الارض الحبيبة

## كتاب بالالمانية عن الحياة في اسرائيل

للكاتب الالماني وولتر كاوفمان صدر مؤخرا كتاب بهذا العنوان يسجّل فيه انطباعاته عن الحياة في اسرائيل، بعد أن اجرى لقاءات عديدة مع يهود وعرب، وقد بحث عن اقاربه في اسرائيل ولما التقى بهم رفضوا استقباله "لانه قادم من بلد شيوعي"، ويصوّر في كتابه معاناة المواطن الاسرائيلي تحت النظام القائم ومحاولته الخروج من المازق لكنه يصاب بالاحباط بسبب المواقف الشوفينية التي غرزتها الصهيونية في عقليته. وفي حديثه عن العرب يصوّر المآسي التي يعانون منها بسبب سياسة التمييز العنصري والقهر القومي ونهب الارض وهدم البيوت. وقد أفرد في كتابه فصلا كاملا عن معاناة ابناء الطائفة العربية الدرزية من قانون التجنيد الاجباري وسجّل حديثا مطولا مع الكاتب سلمان ناطور تحدث فيه عن هذه المأساة وعن كتابه "انت القاتل يا شيخ". كذلك تحدث الكاتب بتوسّع عن مدينة الناصرة والنضالات التي يخوضها شعبها، والانجازات التي حققتها في ظل قيادتها الدمقراطية الجبهوية.




ويذكر أن الكاتب يعيش في المانيا الدمقراطية وقد قام بعدة زيارات لاسرائيل، ونشرت له مجموعة من الكتب باللغتين الالمانية والانجليزية، اكثرها روايات وقصص تسجيلية تعالج قضايا مختلفة.

بالبريد الجوي

# مجموعة جديدة لسلمان ناطور تصدر قريباً في بيروت

عن دار "المصير" في بيروت تصدر قريبا مجموعة جديدة للكاتب سلمان ناطور بعنوان "أبو العبد يغازل مدام مندلوفيتش في قلعة زئيف". وهي تضم عددا من المقطوعات الساخرة التي نشرت في الصفحة الرابعة في جريدة الاتحاد وهي تجمع باسلوبها بين القصة والمقالة، الاسلوب المميز لكتابات سلمان ناطور.

وقد أعدّ المجموعة الجديدة الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة وكتب مقدمتها.



ويذكر أن الكاتب سلمان ناطور أصدر حتى الآن أربعة كتب هي: آراء ودراسات في الفكر والفلسفة (١٩٧١)، ما وراء الكلمات (١٩٧٢) رواية أنت القاتل يا شيخ (١٩٧٦) و"الشجرة التي تمتد جذورها الى صدري"، مجموعة قصصية صدرت عام ١٩٧٩.

## "عز الدين القسام"

### مسلسل جديد في التلفزيون السوري

في مقر نقابة الفنانين في دمشق انتهت التدريبات على المسلسل التلفزيوني الذي يصوّر حياة عز الدين القسام، منذ ولادته وحتى استشهاده. وذلك بالاعتماد على مصادر الحياة الشخصية المرتبطة بفترة عز الدين القسام النضالية في فلسطين ووثائق خاصة جمعت كلها لتشكل العمل الروائي المتكامل لقصة القسام.

اعد سيناريو هذا العمل هيثم حقي وأحمد دحبور ويتم انتاجه بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية. يتألف المسلسل من ١٣ حلقة ويمثل شخصية القسام أسعد فضه.

# العدد الرابع من مجلة "المصير الديمقراطي"



بالبريد الجوي، وصل الينا العدد الرابع من مجلة "المصير الديمقراطي" التي تصدر في بيروت.

و"المصير الديمقراطي" هي مجلة فكرية تصدر مطلع كل شهر. وكما جاء على غلافها: "تطمح لان تكون منبرا لكافة الاقلام الوطنية العربية".

وقد احتوى العدد الرابع على مقالات ودراسات وقصص وشعر شارك في كتابتها المحررون وعدد آخر من الكتاب الفلسطينيين، كذلك أعيد نشر دراسة الاستاذ اسامه محاميد "واقع الناس تحت الاحتلال في رواية عبّاد الشمس" التي نشرت في "الجديد" عدد ١١ (١٩٨٠). كما نشرت وثيقة صدرت عام ١٩٤٤ عن عصبة التحرر الوطني في فلسطين بعنوان "حركتنا الوطنية والقوى التحريرية العالمية".

وامّا كلمة اسرة التحرير فقد تصدرت العدد تحت عنوان "حقوق الانسان.. وأنظمة الاستبداد"، تهاجم فيها انظمة الاستبداد في دول العالم الراسمالي التي تدعي الدفاع عن حقوق الانسان ولكنها ترتكب الجرائم بحق مواطنيها وابناء الشعوب الاخرى، فيقول المحررون: "عجيب امر هذا المنطق، فقضية شرعة حقوق الانسان أصبحت مثل الاعلان عن حذاء او علكة شكلتس اميركية لا يستفيد منها في نهاية المطاف الا اصحاب التروستات الكبيرة. امّا حياة العامل والفلاح والكاتب والصحفي والطبيب والطالب والمدّرس وغيرهم، الذين ينتزعون كل يوم من بين اطفالهم وأزواجهم واعمالهم ويلقى بهم في غياهب المجهول، ويقضى على حياة الكثيرين منهم، دون ذنب او جريرة، غير انهم يرفضون الخضوع لانظمة جاهلة جائرة تحكم بقوة العسف والاستبداد. امّا كل هذا.. فلا يحتاج الى كبير عناء من حكومات العالم "الحر"؟؟

# كتب صدرت في العالم العربي

## الفتى ابن سيناء

بمناسبة الذكرى الالفية للعلامة الكبير ابن سينا اصدر جهاز الاعلام والتثقيف المركزي في جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني كتابا بعنوان "ابن سينا ، الرجل الموسوعة " ، يتضمن عددا من المقالات والدراسات بالعربية والانجليزية ويتناول الكتاب جوانب شخصية ابن سينا الفذة سواء على الصعيد الطبي او على الصعيد الفلسفي والسياسي والفلكي والادبي .

## تطور الحركة العمالية في المغرب

عن دار ابن خلدون صدرت دراسة احمد تفاسكا عن "تطور الحركة العمالية في المغرب ". ويحتوى الكتاب على خمسة فصول عدا المقدمة، هي : انطلاقة الاقتصاد الاوروبي في المغرب، اليد العاملة المغربية في الاقتصاد الاوروبي ، الحريات الاساسية ، تنظيمات الامر الواقع . بالاضافة الى بيبلوغرافيا البحث ، دراسات ومقالات اساسية ، دراسات ومقالات عامة ودراسات ومقالات اطلع عليها المؤلف وان لم يستعملها او يستشهد بها في كتابه .

## في قضايا المرأة

هذا هو عنوان الكتاب الذى اصدرته مؤسسة ناصر ضمن سلسلة " حصاد الفكر العربي الحديث ". ويقدم الناشر لهذه السلسلة بالقول "انها مشروع ثقافي يطمح الى قراءة الحاضر بفكر من الماضي، او يحاول اعادة قراءة الماضي القريب بعيون الحاضر". ويقدم هذا الكتاب مقالات متنوعة عن المرأة لا من وجهة نظر واحدة، بل من عدة وجهات نظر تتماثل او تتعارض بشكل واضح احيانا، ومن بين هذه الكتابات نقرأ نصوصا لاحمد امين، عبد الرحمن الكواكبي ، شبلي شميل ، مصطفى المنفلوطي ، طه حسين ، رفاعة الطهطاوى ، قاسم امين ، الشيخ محمد عبده ومصطفى صادق الرافعي .

## اسرائيل ومشروع كارتر

كتاب صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية باس شوفاني ، وهو ضمن سلسلة "اوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية" ويقع في ٥٦ صفحة ومحتوياته : كارتر ، امن الخليج اولا ، اسرائيل غير مهياة للتسوية، المخرج السياسي في "التسوية ـ المحطة" واسرائيل صياغة صهيونية لمشروع كارتر .

## اسرائيل في الاستراتيجية الامريكية

وضمن السلسلة ذاتها صدر ايضا هذا الكتاب ويقع في ٤٠ صفحة ومحتوياته : وضع المنطقة في المرحلة الراهنة، الاهداف الامريكية ودور اسرائيل فيها (١٩٧٣ ــ ١٩٧٧) ونتائج الثورة الايرانية والمعاهدة المصرية الاسرائيلية بالاضافة الى خلاصة واستنتاجات .

## المرأة والحركة النسائية في البحرين

هذا الكتاب صدر عن "دار الطليعة" في بيروت مترجما عن الفرنسية وهو عبارة عن اطروحة تقدم بها الباحث احمد حميدان الى جامعة باريس لنيل درجة محاضر في علم الاجتماع .

يقع الكتاب في ٨٧ صفحة من القطع المتوسط وفصوله : المجتمع البحراني التقليدى ، التطور السياسي والاقتصادى والاجتماعي منذ العام ١٩٣٠ ، وضع النساء الراهن ، دخول النساء ميدان النضال السياسي والاجتماعي والحركة النسائية .

## زنوج وبدو وفلاحون

صدرت الطبعة الثانية من المجموعة القصصية "زنوج وبدو وفلاحون" لغالب هلسا، وباسلوبه المميز يدخل هلسا عالم الزنوج والبدو والفلاحين ليصف تقاليده، وطقوسه واجواءه الحياتية. كما يكتب في المجموعة ذاتها قصصا اخرى تدور في عالم يختلف تماما عن الاول من حيث همومه ومشاغله وانماط عيشه واحلامه. صدرت المجموعة عن دار المصير للطباعة والنشر.

# ٣ وقفات

بقلم: انطوان شلحت

## الغياب الذي لا يمكن أن يستمر
### ودعوة علي الخليلي

"لا نجد في مكتبات وطننا المحتل مجموعة قصصية قصيرة واحدة، على الاقل، لروادنا السابقين. ومن البديهي أن نضع هذه الملاحظة الهامة عبر أفق الغياب العام المؤلم لادب وفكر هؤلاء الرواد. ولكن اليقظة الواعية التي أضاءت لنا مؤخرا تراث شاعرنا الكبير ابي سلمى، يجب أن تنمو وتكبر وتتسع لتشمل كل رموز وأشكال وأنماط تراثنا الريادي المعاصر، سواء في القصة أو الرواية أو القصيدة أو الدراسة والمسرح.. الخ.

واذا كنا نشير الى القصة القصيرة بالذات، فاننا نعني سهولة تنفيذ هذا المشروع، باعادة طبع ونشر بعض مجموعاتنا القصصية التي تتوفر لدى بعض مكتباتنا المنزلية الخاصة حتى تستطيع حركتنا القصصية المحلية الراهنة أن تربط نفسها بجذور تراثية واضحة تتحقق من خلالها حركة تاريخية ونقدية علمية لهذا الشكل الادبي المؤثر. ان الاهتمام الجدي بهذا المشروع من قبل مؤسساتنا الوطنية البحثية وجامعاتنا ومراكز النشر المحلية، يعكس بمجمله اهتماما حضاريا بتكريس وتعزيز الشخصية الوطنية الفلسطينية في الارض المحتلة، عبر مداخلها الفكرية والادبية والفنية المتكاملة.

ولعل كل كتاب فلسطيني ريادي أو مخطوطة قديمة ما زالت مهملة في احدى الزوايا، يعاد طبعها ونشرها في هذه المرحلة الحاسمة، يضيفان جذرا جديدا لعمقنا الوطني المتشبث بالبقاء والحياة، رغم ذلك الغياب المؤلم نفسه والذي لن يستمر، على أية حال".

علي الخليلي ـ نابلس المحتلة

لقد استوقفتني هذه الدعوة الموجزة وارتأيت اقتباسها حرفيا لاضعها امام قارئنا الفلسطيني هنا داخل اسرائيل كي نضع هذا القارئ ومعه الدارسين والنقاد والبحاثة أمام مسؤولياتهم التاريخية التي تتضمنها دعوة علي الخليلي.

### لماذا مسؤولياتهم التاريخية؟

مسؤولياتهم التاريخية لان مستوى الوعي الذي وصلت اليه جماهيرنا العربية عبر مسيرتها الكفاحية الطويلة لم يعد يجيز أن تبقى في شبه قطيعة عن ادب الرواد الذين وضعوا بدايات ادبنا واعلوا بنيانه الشامخ حتى تمكن من ان يصل الى ما وصل اليه الان. نقول هذا ونرفض محاولات تصوير حركتنا الثقافية وكأنها بدأت من لاشيء. ان الثقافة الحقيقية مثل الحياة نفسها تورث وتواصل. ولقد عبّر عن هذه الحقيقة بقليل كلام شاعرنا توفيق زيّاد حين كتب في أواخر الستينات "ليس صحيحا القول اننا نحن الشعراء الذين خلقتنا المأساة في بلادنا قد بدانا من جديد. اننا نرد هذا القول لاصحابه. نحن الشعراء الذين كنا اقل من اصابع اليد الواحدة في حينه وكان الشعر لم يتسلق بعد اسفل ذقوننا الى عوارضنا واصلنا الطريق. الطريق نفسه الذي لم يبدأه بل واصله في حينه ابراهيم طوقان وابو سلمى وعبد الرحيم محمود ومطلق عبد الخالق وآخرون. ان حالنا مع ذلك السرب لم يكن كحال عبيد بن الابرص مع صاحبه:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زاد

لقد زودونا قبل النكبة الزاد الذي استطعنا أن نستد به بطوننا بعدها".

ثم ان من هذه المسؤولية تجابه بهذا تشويهات الحركة الصهيونية لتاريخ نضال وادب شعبنا العربي الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨، عام النكبة الفلسطينية الكبرى، والتي تتبنى الزعم بأن فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل لم تكن سوى بلاد قاحلة تملؤها المستنقعات والحشرات وأن الهجرة اليهودية اليها لم تكن أكثر من قدوم "شعب بلا أرض الى أرض بلا شعب".

وفي احدى اغاني المطرب الاسرائيلي المعروف اريك اينشتاين، الذي كثيرا ما يظهر على شاشة التلفزيون الاسرائيلي مباشرة بعد عرض مسلسل "عمود النار" الصهيوني ينشد لازمة تقول:

كانت ذات مرّة حشرات ومستنقعات
في هذه البلاد التي هي لنا

كذلك لم ننس بعد تصريح روبين بركات عام ١٩٥٢، وكان آنذاك يشغل منصب مدير الدائرة السياسية في

لجنة الهستدروت التنفيذية، الذى اطلقه عندما بادرت مؤسسته الى اقامة مشروع "صندوق الكتاب العربي" لنشر ما ترتايه وما يتوافق مع مخططاتها السياسية العنصرية من ادب عربي حيث قال ان نشر الكتب سيجعل الصندوق "مركزا روحيا هاما يشع نوره على كل مثقف ومحب للثقافة في جميع البلدان العربية" وهذا القول ينضح بالشوفينية الصهيونية ويراد بــه تصوير الصهيونية وكأنها رسول المدنية الى البلاد العربية وهو ليس سوى صدى لمزاعم الصهيونية السياسية بان اسرائيل هي واحة الدمقراطية في الصحراء العربية وعلى عاتقها يقع عبء نشر الدمقراطية والدفاع عنها.

ومثل هذا الانجاز يجلو الوقائع امام طلابنا الثانويين الذين حرموا من تعلم ادبهم الانساني والمقاوم في برامج التعليم المجردة من أى مضمون يرشد نحو الاستقلالية والاعتماد على النفس والمحشوة بالثقافة القشرية وروح العدمية القومية التي استهدفت "قتل شخصية الطالب العربي وتشويه بنيته الاجتماعية والانسانية وتغريبه عن ادبه وتراثه الحضارى والقومي". واذ فعلوا ذلك مؤخرا (ادخال الادب الفلسطيني الى منهاج تدريس اللغة العربية في الثانويات العربية) فلم يعد الهدف حد امتصاص نقمة المعلمين الدمقراطيين والطلاب وجماهير شعبنا على هذا النقص الفاضح حتند وبشكل بدا فيه أن الادب الفلسطيني ينتهي عند العام ١٩٤٨ وذلك انعكاسا لمخططهم على المستوى السياسي وهو التنكر للحقوق والوجود القومي لشعبنا العربي الفلسطيني. كما اختيرت نماذج شبيهة بتلك المختارة من عصور الادب العربي المختلفة من الجاهلية وحتى الانحطاط، تظهر ادب الرواد وكأنه اقتصر على الغزل والمدح والرثاء..

بعد كل هذا وعلى ضوء أهمية وابعاد هذه الدعوة هلا من مستجيب ؟؟

# فيلم كاجيموشا (ظل المحارب)

يعرض في بلادنا هذه الايام (تل ابيب) فيلم المخرج الياباني اكيرا كوروساوا "كاجيموشا، ظل المحارب" الذى نال "السعفة الذهبية" في مهرجان "كان" الاخير. وقد عرفنا كوروساوا من خلال فيلمه "ديرسو اوزولا"، الذى تم تصويره في الاتحاد السوفييتي وعرض في بلادنا ايضا قبل مدة وجيزة.

تدور احداث فيلم "كاجيموشا" بين الاعوام ١٥٧٢ و ١٥٧٥ ويصور انهيار احد اسياد الحرب في اليابان وعائلته الاقطاعية في مرحلة يطلق عليها تسمية "عصر الحروب" والتي استمرت حتى بدايات القرن السابع عشر. وفي هذه الفترة من تاريخ اليابان كانت الاسر الاقطاعية تخوض حروبها الضارية للسيطرة على اجزاء الامبراطورية. ويروى الفيلم تفاصيل الحرب التي خاضتها اسرة "تاكيدا" والتي اصيب سيدها بجرح مميت في احدى المعارك.

وكان من تقاليد تلك الاسر أن يكون للسيد ما كان يطلق عليه آنذاك اسم "كاجيموشا" (ترجمتها الحرفية ظل المحارب) وهو "بديل" عن السيد في المعارك التي يخوضها هذا الاخير. وينبغي ان يكون هذا البديل بالغ الشبه بالسيد ويمتلك صفة الشجاعة والاقدام. بعد أن يصاب السيد يتم اختيار "ظل" له لاحد المحكومين عليه بالموت شنقا من اللصوص وقطاع الطرق. لكن سرعان ما تخون الاسرة الاقطاعية هذا "الظل" بعد وفاة السيد. ويقوم ابن السيد اللاشرعي بقيادة جيوش المقاطعة في حرب ضارية تسفر عن انهيار اسرة "تاكيدا" وموت كل زعمائها العسكريين وابادة جيوشها. ويحرص كوروساوا على اظهار "الظل" في موقف الوفاء لصورة السيد حيث يخوض هذه الحرب الخاسرة ويموت بشجاعة الشخصية التي يتلبسها في المعركة.

وفي مقابلة مع مجلة "ريفولسيون" الفرنسية رد كوروساوا على سؤال: "كيف تنظر الى المضمون الفلسفي الذى تفترضه موضوعة "الظل""، بما يلي: "تقوم سيكولوجيا "ظل المحارب" على مفاهيم الوفاء التي تعتبر احدى ركائز الاخلاقية الاقطاعية، "كاجيموشا" يرى السيد مرة واحدة فيشعر انه قادر أن يحذو حذوه. انا اعتقد أن "الظل" له وجوده الخاص ولكن عندما يموت نموذجه ينبغي أن يموت هو ايضا. ولم افكر في هذه القضية فعلا. قبل ان اباشر تصوير الفيلم، لم اكن اعلم ماذا احاول ان اقول. لذلك فانا لا ابث "رسالة". طبعا هناك نوع من "الرسالة" في الفيلم مهما اكتسبت طابعا رمزيا ولكنني لم اتعمد وضعها بالشكل التي هي عليه فانا لست فيلسوفا."



## تجربة جديدة في المسرح الاسرائيلي او مسرح شارع وعمل اجتماعي هل يقيض لها النجاح ؟

بغض النظر عما اذا كنا نراهن، اساسا، على هذا المسرح أولا لكننا نقرّ أن منهاجه، كما أعلن عنه القيمون عليه عبر الصحافة المحلية، يشير الى تجربة جديدة وجريئة تضيف الى اجراء دفع المسرح الاسرائيلي نحو دوره المثقّف والواعي (المثوّر اجتماعيا ولو بالقدر اليسير).

أعني بهذه التجربة ـ "فرقة المسرح" التي أعلن عن تأسيسها المخرجان المسرحيان المعروفان عوديد كوتلر ونولا تشالتون (شاهدنا لهما مسرحيات جيدة في اطار نشاطهما مع "فريق المشروع" التابع لمسرح حيفا البلدي مثل "كريزا" و "نعيم" و "دراجة لسنة" و "قضبان") والكاتب المسرحي حانوخ ليفين والممثل ايتسيك فاينغارتن.

يوجه هذه الفكرة منطلق أن يكون هذا المسرح مستقرا ومستعدا لاستيعاب اية مواهب تبدي نية في العمل وفق البرنامج المخطط الذي يستهدف العمل على مستوى الشارع الاسرائيلي اولا وممارسة العمل الاجتماعي في احياء الفقر ثانيا عن طريق ايجاد الاطر المناسبة الثقافية والفنية لاولاد الضائقة بما يبعدهم عن وكر الجريمة والفساد.

يقول كوتلر (يديعوت احرونوت - ١٩٨١/٢/١٢): يمثل المسرح بالنسبة لي وسيلة وليس هدفا. ولهذا وجدت نفسي خارج المسارح الرسمية القائمة التي توظف تسعين بالمئة من ميزانياتها لاغراض الربح وفقط عشرة بالمئة لاهداف اجتماعية.

ويضيف: المسرح الصغير مقتول وتضيق عليه الخناق الجهات المختصة التي تشرف وتدعم المسارح الرسمية بحيث تسيرها حسب ارادتها وبما يخدم مصالحها.

وتكمن جرأة هذه التجربة، برأينا، في كونها تتوخى العمل في احياء الضائقة من منطلق اجتماعي ايجابي وليس سلطويا. واننا اذ نسجل ذلك يحدونا أمل في أن تبقى هذه التجربة في حدود ذاتيتها على الاقل... ففي أوضاع بلادنا السياسية يبقى المخيّر حامل الافكار المذكورة آنفا، رغم ضيق الممكنات، عاملا مهما في تقويم ظواهر التشويه التي تشوب المجتمع الاسرائيلي.

## مجموعة جديدة للشاعرة سهام داوود

### تصدر باللغة العبرية



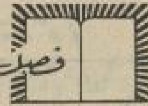
اصدرت منشورات "سفريات بوعليم" في تل أبيب مجموعة شعر مترجمة الى العبرية للشاعرة سهام داوود، المحررة في جريدة الاتحاد، تحمل عنوان "أعشق بالحبر الابيض".

يقع الكتاب في ٤٨ صفحة من الحجم المتوسط ويضم ٢٦ قصيدة قام بترجمتها رئيس قسم اللغة والادب العربي في جامعة تل أبيب، البروفيسور ساسون سوميخ، كما يحوي عددا من الرسومات الداخلية بالاضافة الى لوحة الغلاف بريشة الفنان أوري ليفشتس.

ويذكر أن بعض قصائد المجموعة ترى النور لاول مرّة ولم يسبق للشاعرة أن نشرتها بلغتها الام ـ اللغة العربية.

وتذيل الكتاب كلمة موجزة للمترجم يحرّك خلالها بالشاعرة وشعرها، الشكل والمضمون. ومما جاء فيه: "تحمل هذه القصائد طابعا ذاتيا ـ حميما بارزا. ولكن مع ذلك تسمع عبرها نغمة سياسية ـ وطنية حادة وغير قابلة للتأويل. ان التنقلات بين العالمين، "الذاتي" و "العام"، حادة والفاصل بينهما يكاد يكون معدوما. اشعار الوحدة والاسى تتدحرج فجاة الى صرخة احتجاج ضد أولئك "الذين سجنوا اهالي يافا". تتدفق اشعار الحب فجاة الى درجة البكاء على "الارض المسلوبة" وتتحوّل قصائد الطبيعة الى اشعار احتجاج".

تجدر الاشارة انه كان قد صدر في العام ١٩٧٩، ديوان شعر لسهام داوود في بيروت بعنوان "هكذا أغني" قامت باصداره مؤسسة الاعلام الفلسطيني الموحّد في منظمة التحرير الفلسطينية.



فصل من رواية علي الخليلي

# المفاتيح تدور في الأقفال



أصدرت منشورات صلاح الدين في القدس مؤخرا اخر نتاج الاديب المبدع علي الخليلي ـ محرر "الفجر" الادبي ـ قصة " المفاتيح تدور في الاقفال " ..
والاديب علي الخليلي أصبح يحتل مركز الصدارة في ابحاثه التراثية الفلسطينية، كما انه يترك أثره المميز في حصيلة الشعر العربي الفلسطيني الغزير.
وقصته ـ وهذا ما يوحيه عنوانها ـ تتصل من قريب وبعيد بحياة الفلسطيني العادي ـ ونؤكد على العادي ـ الذي بدأ مسيرته يقارع الامبرياليين البريطانيين .. وهو استمر يجابه العرب الرجعيين .. وهو اليوم يثور على الاحتلاليين الاسرائيليين ..
وقد اخترنا هذه الصورة من القصة لا لانها أفضل الصور بل لانها تؤلف وحدة يمكن أن تضيء الطريق أمام القارىء.

"ضرار كامل " قاص ناشي" يحلم بالبحار الواسعة والنجوم التي تغتسل فيها. فاذا اشتعل الحلم، هربت قصصه القصيرة من أصابعه واوراقه توزع الحلوى على الاطفال والعصافير والمرضى القابعين في فجوات الازقة المعتمة. واذا اكتشف ان حلمه المتدفق لم يتجاوز صدره المكدود بعد، غضب ومزّق أوراقه واصابعه. يلمس قيعان البحار. لا بأس. يلملم اصابعه واوراقه ويكتب من جديد. قال: اكتب على أوراق بيضاء مستهلكة التقطها احيانا من الشوارع. واكتب على أوراق سمراء سميكة خشنة اكتشفها بالصدفة في الصناديق المهملة. واكتب على أوراق لم يبق منها سوى وجه واحد أملس، انتزعها من دفاتري المدرسية القديمة، ثم احدّق في وجهها الناحل الثاني،
- فامتص خرابيش تلميذ السادس الابتدائي، وافكّر جديّا باعادة صياغة تلك الخرابيش في قصة قصيرة متميّزة نادرة. لا بأس. تنكسر نجمة هائلة في عيني ولا اقدر ان اكتب. لماذا لا تحترق الاشياء اذن؟ هل تستطيع ان تغترف حريقا في قبضة كلمات؟ هل يندفع الدم الساخن في الاوراق؟ كيف يمكنك أن تغتسل في الكبريت؟ قال: انا. في الاساس عامل مكانس بيتية. قال: هذا هو الجوهر. اكوام القش في دكان متهدم نترك القش حتى يجف، ثم نحزمه جافا خشنا طيّعا لاصابعنا المتدربة في حزم صغيرة نبعثرها في الزوايا. نقبض على أعناق الحزم، واحدة واحدة، نحصرها بالاسلاك الدقيقة. نقص اطرافها الزائدة. نزينها بخيطان ملونة. ونطرحها امام الدكان كل مكنسة بعشر ليرات. يا بلاش.
-احلم بالبحار الواسعة والنجوم التي تغتسل فيها. انتفض في المصنع الصغير، واحاول ان ادفع الحياة في القش. هل تحيا ام تحترق؟ هيّا يجب أن تقرر. يجب ان تمارس دورك الصحيح: امّا ان تموت، وامّا أن تحيا بشرف وكبرياء. كيف يمكنك أن تغتسل في الكبريت؟ قل لي، هل تغتسل النجوم فعلا في البحار؟ لا بأس. يمكن للحياة أن تستمر كما شاءت. ويمكن للموت ان يستمر كما شاء. قال: في البدء، يتراكم الغبار. ثم يأتي دور المكانس البيتية البسيطة. وقال: كنت اتوقع ان يأخذوني. انا مزعج لهم. اقف في وسط باص البلدة، اعرض مكانسي للبيع، وأصيح: اكنسوهم. يضحك ضرار قليلا. تتسلل من مسام جسده النحيل الاسمر قطرات عرق وحزن وبقايا نجوم تغتسل في البحار. بعض الناس يخافون، والكثيرون يشترون منه. اكنسوهم. لن أطالبك بأن تغتسل في الكبريت. لن أطالبك بنجمة هائلة تنكسر في عينيك، فالليلة لم أجد قطعة حلوى واحدة لطفل أو عصفور أو مريض في زقاق. الليلة زارني البحر وبكى. بكى. بكيت. ثم توارى في الصحراء. لمست القيعان. صنعت عبوة ناسفة. أيها القش البارد: يجب أن تقرر الان، موتك او حياتي. قال: اريد ان اكنس الغبار والاوساخ من الكرة الارضية كلها. وقال: في زمن الاحتلال الصهيوني، يصبح العالم كله مطالبا بالنضال. يؤكد ضرار على ذلك. يرفع يدا مشوهة الكف. لم انجح في صناعة العبوة الثالثة. وسوف أعلّم أصابعي المتبقية على الكتابة من جديد. يؤكد ضرار على ذلك ايضا. تخبره عن نشرتنا السرية في السجن. يفرح مثل طفل. ويطلب منا أن يشارك في تحريرها، ويؤكد مرّة ثالثة على أن ثماني سنوات من الاعتقال يحملها الان على ظهره، ستكون اخف من قشة تذروها العاصفة. ينحني مروان على اصابع الكف المشوهة يقبّلها. أريد أن أستمع الليلة الى أجمل قصصك. فالنجوم لا تموت، والبحار لا تجف، والكرة الارضية تنبض بالحياة. ينمو ضرار مثل زهرة في حوض مروى أمام بيت من الطوب في المخيم، فيصرّ مروان على سماع القصص.

# اقرث

هدوء، زقاق عتيق، ربما من ايام البيزنطيين، طريق رائعة تمتد على التلة كأنها قناة، تخترق الخرب الى الكنيسة المهملة التي ينتصب عليها صليب. السقوف على الارض. قرية MADE in ZAHAL (انتاج الجيش الاسرائيلي) ، سلاح الهندسة، منذ زمن بعيد، مع قيام الدولة ولدت هذه الخربة.

تصعد على الطريق، شجرة زيتون وأخرى الى جانبها، حجارة منتشرة هنا وهناك. السطوح المهدومة منتشرة على الارض. وانا احاول أن أحدد مكانها على الخريطة. (هل أنا استفزازي ؟؟) . لا يوجد كنيسة، ليس لها اسم : "اقرث". الكنيسة ليست خربة. والمقبرة المحاذية للطريق ما زالت عامرة. يسمح بدفن الاموات. اذا اردت أن تموت، فتفضل. تستطيع أن تحيا فقط في الريح والمطر . كانت هناك أقواس وعتبات. تغمض عينيك وتصغي: تسمع وقع حوافر الدواب على الزقاق العتيق. وقد تسمع ضحكات الاطفال وتشاهد الغسيل يتطاير على الحبال، كما في كل مكان تدب فيه الحياة. على الكنيسة حارس ينظر الى الجهات الاربع ويرى شجرة زيتون ، الشوك يغطي الشقوق التي خلفها الانفجار ، ١٩٤٨ . المنظر جميل لكن القلب يتمزق. آثار الجرح عميقة.. جميلة.. اقرث.. تنظر خلف التلة، قبر شيخ. كنت هناك تخفيت كي لا أذكر ، كي اختفي في التلة المهجورة منذ زمن بعيد لم يَكن هنا أحد (آخر توقيع ، شلومو كوهين، ١٩٦٣) .

شباك جميل، يطل على يوم الحساب. القبر جميل وقبته متكاملة. لا يبرز على الخارطة. هل تذكرون؟ تربيحا ، النبي سروخ، القبر والتلة؟

هناك مناظر حولت التلال الخضراء الى بقع ، والمرتفعات الى سهول، واسلاك حديدية ومراجل شمسية ARIK here I come انها تضيء بالليل وتبرز على الخارطة.

ان من يهشم المنظر بهذا الشكل فانه لا يهوّد الجليل ولن يكون ابن الجليل ، انه بندوق في هذا الوطن.

ان من يقبح جمال هذا المنظر ويدفن حكايته ولا يحس بقدسيته فليس له أي حق على هذه الارض.

## איקרית

מאת יגאל תומרקין

ان المناظر هي عدو الجليل. كأنها "الضحك على الفقراء" ، اليهود يقيمون المعسكرات لانفسهم. ولماذا لا يبنون شلومي وحتسور وكريات شمونه ومعلوت وغيرها؟

"ابن بيتك في الجليل" وليس قبرك...

اعرف جارك وكن صديقا لـه.

اقرث، أظن ، هناك صلبوا أرضك .. هذه الارض التي كان بامكانها أن تصرخ: "الهي الهي لماذا قتلتني"؟

يغئال تومركن

# وما نسينا..

# عيون

## الحلقة العاشره

سلمان ناطور

انزل يده على المترليوز
ورشقها بنظراته النارية
فلك تحتم !

**الغبار** الذى تطاير خلف الشاحنة العسكرية، تحوّل الى حجاب/ستار/ جدار سميك/ حجب الروءيا عن الدرب الوعرية التي كانت تتلوى على مرتفعات الجبل.

اهتزت الشاحنة بعنف فتكوم طفل في الرابعة على الارض، صرخ، لكن الرعب حسر الدموع في مقلتيه، وتحسس بانامله الناعمة كتفه اليمنى التي اصطدمت بارض الشاحنة. امسكت امه بذراعه واوقفته وحاولت ان تبحث عن اثار الضربة في انحاء جسده، بينما عيناها تراقبان الجندى الجالس عند مدخل الشاحنة العريض وقد وضع "المترليوز" على ركبتيه وحدّق في الطفل وفي عينيه يتطاير شرر فيثير الرعب في قلوب الاطفال الخمسة الذين تجمعوا حول امهم.

سال الطفل البكر امه بعد ان وضع يده على خدها وادار وجهها نحوه:

– وين ماخدينا يمّا ؟

التفتت نحو الجندى، كانها تحيل اليه السوءال البرىء، وكانه ادرك ما ترمي اليه، ففتح فمه وارتسمت على شفتيه بسمة خبيثة وقال:

– على عبدالله .. يالله على عبدالله ..

ولم تنتظر لحظة واحدة فانطلقت من فمها الكلمات وهي لا تقوى حتى على مجرد التفكير بعواقب شتائمها عليها وعلى اطفالها:

ـ يلعن ابوكم .. على ابو عبدالله.

دخلت هذه العبارة في اذن الجندي اليمنى، وخرجت من اذنه اليسرى. حتى احسّ ان هذه المرأة العربية تهين كرامته وكرامة الامير الذى فتح لهم ذراعيه قبل أن يفتحهما في وجهها. فانزل يده على "المترليوز" ورشقها بنظراته النارية، واكتفى ـ كما يبدو ـ بما أثاره في اطفالها من رعب.. ورفع يده وظلّت هي تتمتم.

توقفت الشاحنة عند النقطة التي تفصل بين حدود جنين وبين المنطقة التي تسرح وتمرح فيها جنود "الهجاناه".. نزل الجندى، وامر الام واطفالها بان ينزلوا.. لم يكونوا لوحدهم في الشاحنة.. كان معهم ثلاثة رجال وثلاث نساء واطفال اكبرهم في العاشرة واصغرهم كان يكبر في بطن امه..

ولما وصلت الشاحنة "وادي الذبان".. وضعته.. اسمر البشرة.. ولد على طريق العودة.. من لبنان الى عيلبون.. القرية الصغيرة التي ترتاح على كتف من سلسلة جبال تمتد حتى تبدأ بالسقوط نحو بحيرة طبريا فينعكس ظلها في المياه الراكدة.. وكان على الام واطفالها ان تقطع هذه الطريق مشيا على الاقدام.. وهي تردد:

ـ ملعون ابوكم .. على ابو عبدالله.

*كان عازار يحب الاطفال بعدما ارتمى قدام الناس حط القرد في راسه .*



### الام واطفالها.

كانوا يقطعون الطريق الى مخيم جنين. لكن الارض لم تحملهم، فبدأوا رحلة العذاب والالام التي حددت محطاتها من القدس جنوبا وحتى الشام وصيدا شمالا... واستعدوا للتخفي تحت اشجار الصنوبر ريثما ينزل الظلام فيتسلل المشردون وتطأ اقدامهم الارض الطيبة.. ظل زوجها في القرية الصغيرة يدافع عما بقي.. كان ذلك فجر يوم خريفي في اواخر اكتوبر.. الاضواء معتمة تماما.. وخيوط الفجر تشق طريقها الى الزوايا المظلمة ببطء لكن ترافقها نسمة باردة تلسع الوجوه الساهرة.. تنتظر الفرج أو قدوم الساعة.. كان آخر جندى انقاذ "مالله.. مالله".. قد غادر "بدون لا سلام ولا كلام.. وترك الميدان لحميدان..".. وفي موقع "الروس" كانت فرقة من الجنود الاسرائيليين تستعد لمهاجمة القرية..

"عيلبون كانت على الخط الامامي.. انقسم البطوف قسمين.. قسم في قبضة جيش اسرائيل وقسم يتمركز فيه جيش الانقاذ".. قال الشيخ المشقق الوجه الذى نتحدث عنه، زوج الام التي قطعت مع اطفالها طريق الالام.. الى أن عادت اليه.. بعد أن نجا من الموت ثلاث مرّات..

"دخل الجيش وامروا الناس يتجمعوا في الحارة.. كنا ليلتها نايمين في الكنيسة.. ما انتظروا حتى تستعد للخروج.. فصار الجيش يطخ على الناس عن يمين وعن شمال.. حياة عازار، الله يرحمه، كان انسان فقير، قوّسوه لمّا كان خارج من باب الكنيسة، وبعد ما ارتمى قدام الناس يفرفر زى العصفور.. تقدم منه ضابط وحط القرد في راسه وفرغ باغة خمس.. ست رصاصات طلقة وحدة.. ارعبوا الناس يا عمي.. قطعوا قلوبهم.. طلبوا منهم يرفعوا ايديهم.."

عند مدخل الكنيسة توقف ثلاثة اطفال.. نظروا الى جثة عازار الملقية على الارض.. "مسكين يا عازار".. قال احدهم وفرش نظراته على الجثة الممزقة:

ـ كان عازار يحب الاطفال..
يوم العيد.. قلت له: صباح الخير يا عم عازار..
قال: صباح الخير يا حلو.
قلت له: كل سنة وانت سالم.
قال: وانت سالم يا روحي.
واخذني الى دكان ابو الوليد.. واشترى كيس ملبس.. وكيسين قريش:
قال: واحد لاختك نوال وواحد لاخوك جوزيف..
مسكين يا عمي عازار.. كل سنة وانت سالم.



## قاعدين ننتظر فرج ربنا . لا بقي لنا ولا بقي علينا .

**كانت** البيوت فارغة. في اقصى الشرق بيت من الطين يسكن فيه شيخ وشيخة. على وجهيهما تعرجت شقوق من ايام الشقاء.. وعذاب تركيا. وبالنسبة لهما لم يكن يعني دخول الجيش اكثر من خروج ظالم ودخول ظالم جديد.. تركيا راحت ايامها.. الانجليز راحت ايامهم .. واليوم "شو ممكن يكون جديد.. قاعدين ننتظر تايفرجها ربنا.. ايامنا منعدها على حبات المسبحة.. لا بقي لنا ولا بقي علينا.."
لكن دخول ظالم جديد كان أعنف مما مضى.
طرق جندي الباب المخلع.. دخل وهو يشهر بندقيته..
ـ ليش انت قاعد هون ؟

الجندي/الختيار/الختياره/البندقية المصوبة/الصرخة/الباب المخلوع/ قف/تحرك/ياخمار/ الرفس/البسطار/يا خواجه/

يقف عجوز حاني الظهر يتوكأ على عكازة والى جانبه زوجته تتحرك ببطء، تنظر الى الخلف ثم الى الامام كي لا تتعثر.. الجندي ينهرهما كمن فقد صوابه، يصرخ كالمجنون وينتظر كلمة واحدة كي يطلق الرصاص. وتكون المحطة الاخيرة في الحارة الجنوبية، في ساحة واسعة، تغطيها الحجارة، التي انتشرت بينها حجارة الغرانيت السوداء.

اصدر الضابط الاوامر بان يجلس الاهالي الذين تجمعوا في الساحة رافعي الايدي، وقد حاصرتهم مجموعة من الجنود.. وكلما انزل رجل يديه أو تحدث الى جاره، نهره جندي واطلق شتيمة، كانت تصل ذيولها الى يعرب بن قحطان. اختاروا تسعة عشر رجلا، لم يعرف ابو الزريق وابو رمزي ورشيد العيلبوني ـ الذين جاءوا الى عيلبون بعد ان سقطت طبريا ـ وابو نبيل وابو فهمي .. لم يعرفوا الى اين يريد ان يأخذهم الجنود، كان واضحا ان كل خلاص من هذا الجحيم يعني الانتقال الى جحيم أفظع:

"حملونا بسيارة وسرنا قدام سيارات الجيش". كنا نتقدم ثلاث سيارات محملة بالجنود.. طلبوا من واحد ان يسوق السيارة التي ركبناها ولم يكن بيننا اي جندي.. وصلنا الى المغار، كانت مسلمة ورافعة الاعلام البيضا"، على الطريق، كل ما شافوا اشي كانت الرشاشات تضرب. قرب كفر عنان، طخوا اثنين راكبين على فرس... في فراده جاء قائد اسمه أورباخ، سال الضابط المسؤول عنا:
ـ مين اللي في السيارة ؟
اجاب:
ـ عربوش من عيلبون. ركبناهم في سيارة ومشوا قدامنا، علشان اذا كان الغام على الشارع، تفقع فيهم وما تصيبنا.
ضحك الضابط اورباخ، وقال:
ـ هل تعلمتم هذا من الانجليز ؟

"والله يا عمي، فهمت كل كلمة قالوها.. أنا الوحيد اللي كنت أعرف لغتهم".



## صاروا يرجعوا اول بأول . يرموهم .. يرجعوا .. يرموهم .. يرجعوا .

**لم** يعرف اولئك الذين قطعوا الطريق "لتطهير الشارع من الالغام"، ان الجنود في القرية يعدون الاهالي لترحيلهم.
"طلبوا مغادرة البلد الى المغار، الناس كانت مرعوبة وكثار منهم حافيين وفي ثياب النوم... ما سمحوا لاحد يبقى في البلد، ساقوهم مثل القطيع الى المغار.. على الطريق كانت مصفحة تقوّس عليهم.. جرحوا لبيبه ويوسف ابو راجي وابن حنا الابراهيم.. مشينا للمغار.. هناك لقيناهم جامعين الناس في ساحة المدرسة. سالونا: وين ؟ قلنا: هيك.. هيك صار".

في المغار بلغوا الاهالي بشكل رسمي: انتم مطرودين لعند عبدالله.. يالله على عبدالله. حاولوا يفرقوا بين المسيحيين والاسلام من جهة ويتركوا الدروز من جهة ثانية. الله يسهل عليه الوحش ابو حسن قال لهم بالحرف الواحد:

ـ احنا الدروز رافضين.. اما بترحلوا الكل او بتتركوا الكل.
وفعلا ما رحلوهم.

"تحت تهديد الجيش وصلنا لكفر عنان. كان الناس بعدهم هناك. بين الزيتون اطلقوا علينا النار. انجرح ناس وانقتل سمعان شوفاني. بقي مرمي ثلاث ايام في ارض الحمار. عند العلة اللي على الكوربه.. عندما تلف اللفة على اليمين.. الله يرحمه كان زلمه مسكين.. خادم الكنيسة. انتقلنا لفراده، هناك كان الجيش يقلب البلد. جمعنا وبلش يفتش فينا. وياخذ المصاري والساعات والاقلام وحاولوا ياخذوا الذهب من النسوان. جمعنا لهم ١٠٠ ليرة فلسطينية علشان يحلوا عنا. وما يفتشوا النسوان.

"ثاني يوم، اختاروا ٤٩ واحد. واخذوهم للمعتقل. حملوا ناس من اهل البلد في باص وتقلوهم الى حدود لبنان.. والطخ وراهم.. على الطريق انقلب الباص وتكسروا ثلاثة.. تفرقوا مع اللاجئين.. وصاروا يرجعوا اول باول.. كانوا يرموهم على الحدود.. يرجعوا.. يرموهم.. يرجعوا..

يا عمي.. وجودنا هون..
مثل هالصبر.. مثل هالزيتون
بيتعلموا منا الدرس.



في اليوم التالي، بعد ان شرد عدد كبير من الرجال، وبقي العجزة والاطفال والنساء وعدد قليل من الشبان. اختاروا ١٤ واحد، وزعوهم على ثلاث مجموعات، في الحارة، في شارع القبور، وعند مدخل القرية، كان بينهم محمد الخالد وحنا ابراهيم الخوري وبديع زريق ابن المختار.. وقف الضابط وناداهم واحد واحد.. ما عرفنا شو بيطلب منهم.. ناداني الضابط، رفضت اطلع، قلت مش تارك اهل بلدنا، مسكين جريس الحايك كان قاعد جنبي.. شاب، من احلى الشباب متزوج جديد وعنده بنت.. وقف وطلع من غير مايناديه.. ما عرف لوين رايحين ياخدوهم..

اخذوا الشباب الى مداخل القرية.. وهناك قتلوهم.. رشوهم واحد واحد وتركوا جثثهم على الشارع.. ما اكتفوا بقتل الشباب.. حوالي بلدنا كانت عشيرة عرب المواسة، مواقعهم موزعة على مرتفعات المنطقة وسهولها.. في باب القنايا.. يوم دخلوا على البيوت.. واخرجوا ١٢ شخص وقتلوهم قدام بيوتهم.. منهم واحد مع اولاده الاثنين.. وظلت طياراتهم تضرب على البلد.. في الليل وفي النهار.. كنا ننام على صوت القنابل.. ونفيق على صوت القنابل..

القرية الصغيرة الوادعة التي ترتاح على كتف الجبل.. كانت مرشحة لان تمسح عن خريطة هذا الوطن.. حتى بعد ان اصبح آورباخ "حاكما بامره برصاص البندقية وبموجب فرامانات العالم.. لكن المراة التي ركبت الشاحنة اصرت الا ان ترجع.. والذين حكم عليهم بالنفي.. اصروا الا ان يتسللوا الى بيوتهم.. في ساعات الليل المعتمة.. حين كانت بيوت عيلبون مهجورة.. "طافيه.. ما فيها ضو.. الا ضو واحد في دار ختيار مع قنديل.. كل حلال البلد راح وما بقي فيها شي.." وبدات معركة على الارض.. وككل المعارك.. لم تكن بدون ضحايا.. "في بيت فهيم.. غرفة صغيرة.. صغيرة جدا.. على الارض استلقى ثلاثة شبان، من خيرة شباب البلد، شباك الغرفة يرتفع مترين عن الارض، كانت ليلة صيفية قائظة.. تسلق رجل. وعبر الشباك سكب الكاز على الشبان الغارقين في سباة بعد معركة حامية.. واشعل الغرفة.. فالتهمت النار سهيل زريق حتى التهمت كل خلية من خلايا جسده النابضه بالحياة.." كان شهيد الارض الاول بعد ان اغتصب الوطن..".

لكن يا عمي، سبحان الله، وجودنا هون مثل هالصبر.. مثل هالزيتون.. ما بيقدروا يقلعوا جذورنا.. العميقة في هالارض.. بيجي يوم يتعلموا منا هذا الدرس".




اكلت الطرقات الفاصلة بين البيارات "راقات" من اخامص اقدامهم، بقدومهم صبحا الى نقطة التجمع وايابهم مساء - فالمبيت داخل المستوطنة ممنوع - الى الخيام النايلونية والتخشيبات العتيقة في مراكز تجمع داخل البيارات يقضون بها ليلهم انتظارا ليوم شقاء آخر. وحال وصولهم نقطة التجمع، على مشارف المستوطنة، يتحلقون مدثرين بالملابس الشتوية الثقيلة، حول عيدان الحطب المشتعلة طاردين برد الصباح القارص، منتظرين المحتاجين عمالا من اصحاب العمل، فحتى التجمع للانتظار داخل المستوطنة، منعوا منه قبل ايام قلائل لانهم، حسب ادعاء مسؤول الامن في المستوطنة، يزعجون السكان ويخيفون الاطفال المتوجهين صبحا الى مدارسهم.

وما أن تطل الشمس منازعة خيوطها الغيمات القلائل السائرات رهوا نحو الشرق، مبشرة بيوم صحو آخر من ايام الشتاء، حتى تبدأ السيارات بالمرور صارة فراملها امام جموعهم، فيهب البعض راكضين يتحلقونها ليختار الجالس خلف مقودها عددا منهم، ولا تلبث ان تشخر مولية، ويعود من لم يحالفه الحظ هذه المرة لينتظر.

لم تكن تخلو طريقة اختيار العمال من المواصفات، فالشباب قويو الاجسام سبّاقون يقلّون في السيارات الاوائل، يتلوهم الفتيان، وطالما بقي بعض المسنين والاطفال الى ان يملّوا الانتظار فينتقلون الى الجانب المقابل من الشارع في طريق العودة خاوي الوفاض.

بقي "علي" وان كان شابا قوي الجسم بين المنتظرين، فقد ظل منزويا منذ وصل متكئا على جذع شجرة ينبش التراب امامه بقضيب يابس، وكان كل ما حوله لا يعنيه وليس هو على عجلة من امره ولا رغبة عنده للعمل، باديا عليه الارهاق والتفكير العميق، فأحداث المناطق المحتلة تأخذ جلّ تفكيره.

قلّ تتابع السيارات وارتفعت الشمس مرسلة الدفء مع خيوطها اينما وقعت.. وفرملت سيارة دلت طريقة ذلك على أن سائقها على عجلة من أمره، فتح الباب مطبقا اياه طبقا شديدا اثار انتباه المنتظرين فتحفزوا مسددين أنظارهم نحوه متقدمين بعض الخطوات.. وهذا يتفحصهم مجيلا نظراته من واحد لآخر...

- مالو.. انت هناك ما بدك شغل؟

رفع علي راسه فالفاه ينظر اليه:

- بلى...

- اتلع على السيارة..

خطا علي نحوها متثاقلا، بينما ذاك يحاول انتقاء آخرين ممن تبقّوا.

انطلقت السيارة مصدرة جعيرا قويا، تنفذ عبر نوافذها نسائم الصباح البارده، وشقت طريقها بين البيارات العابق جوها برائحة زهر الحمضيات الذي بدأ يتفتح، فتبدو الاشجار باحلى حلة، تبهر الناظر باوراقها الخضراء مرشوقة بلون الزهر الابيض تطل من بينها حبّات البرتقال الزاهية ثم ما لبثت أن التوت التواءة حادة توقفت اثرها. فنزل علي ومن معه يتقدمهم صاحب العمل، فشد انتباه علي منزل عتيق تكسّرت بعض درجاته المؤدية الى علّيته، وتدلت على حيطان غرفه الاعشاب البرية ونمت حوله الاشواك، تضاهي بطولها الرجال، وغطت شجرة برتقال عالية برزت منها الفروع اليابسة، ولم تقلّم منذ زمن ولم يعتن بها، غطّت الشباك الغربي للعلّية وقد دخلت بعض غصونها خلاله، وبقربها يبست شجرة ليمون، أمّا التوتة فما زالت متعالية قوية خضراء غلبت خضرتها بعض الفروع اليابسة، لقد قاومت طوال مدة كل النائبات فلا الاشواك البرية، التي غطت موقع ظلها، استطاعت أن توقف تشامخها ولا

غياب اصحاب البيت اوقفه .

لاحظ صاحب البيت ان عليا غائب لم يسمع من تعليماته شيئا فانتهره، فتقدم علي ببطء" متناولا من يده الممدودة الجيب والمقص، ساحبا السلم وبدأ ورفاقه العمل . فامامهم يوم طويل من العمل المرهق المتواصل ، فالمقطوعية خمسة صناديق ضخمة لا يعبئها واحدهم حتى تكون الشمس شارفت على المغيب . ليس هذا ما كان يشغل عليا انما ذلك البيت ، فاذا استدار قبالة ذلك الطلل انقطعت رحلته وافكاره على صراخ صاحب العمل يرعد ويزبد، يخلط العبرية بكلمات عربية مكسرة:
— "ما زي" ؟ هذا مش شغل ، "حموريم" يشتغل احسن ...

كان يختار حبّات برتقال من الصندوق، فهذه بلا عرق وتلك عرقها طويل ، فهو لا يريد هذا ولا ذاك ، فالقص يجب ان يكون ملامسا جسم الحبة تماما، والا تقطع قطعا ..
— يا سيدى الحب من الفروع العالية لا يقدر الواحد يمسكها ويقطفها وهو بالكاد يقدر يطولها ..

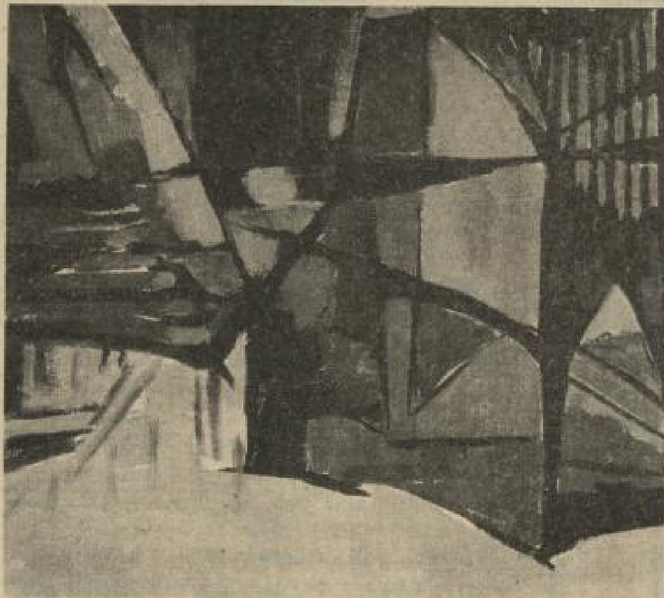
لم يبد على صاحب العمل انه يفهم هذه الكلمات الصادرة من فم رجل يقارع الستينات من عمره، وان كانت تجاعيد وجهه تبديه اكبر من ذلك . فتطوع علي وقد استطاع خلال سني الاحتلال من تعلّم اللغة العبرية، محاولا أن يفهمه، لكن هذا لم يكن يريد ذلك فاستمر بزمجرته:
— هذا شغل حموريم ...
— ان هذا الرجل بعمر والدك ، فلا يصح أن تستعمل معه هذه الكلمات ، فانظر تلك الغصون العالية، كيف تريد ان يقص واحدنا حبّاتها؟
— هذا لا يهمني . وانت ما يهمك ؟ انا اتكلم معه، خلاص كلام لا تضيعوا الوقت، ياالله على الشغل، واذا وجدت كمان حب مش مليح اخصم من الاجره، فاهمين ؟؟
وقبل ان يستمر علي امسكه الشيخ من ذراعه ..
— اتركه يا بني— وادارا منكبيهما وما زال الشيخ قابضا ذراع علي — لقمة العيش مره بلاها ما نقدر نعيش، الله يجازى اللي اوصلنا لهذه الاحوال ..
— لكن ...
— يا حبيبي ، يا ...
— علي
— الله يخليك . .المصيبة يا عمي مش صراخ هذا، واللي شاف الكبيرة تهون عليه الصغيرة، وعلا صوت صاحب العمل من خلفهما:
— مش وكت كلام. على شغلك انت واياه

التفت علي شزرا وتابع سيره وقد شعر أن كلام الرجل نابع من جرح عميق مدمول ، لم يكن من الصعب عليه تخيّل قصته، فاغلب الظن لا تختلف عن قصة اهله واهل قريته وغيرها من القرى التي ازيلت عن وجه الارض، ولم يبق من معالمها الا مثل هذا البيت الذى بهر انظاره ساعة وصوله اليه، لكن شعورا ما عشش في ثنايا عقله وتخيله امام ناظريه ذلك الرجل المسن، يلقي بكلماته الحزينة، فلعن ذلك المتبرج المتفاخر الذى قطع بينهما حبل الكلام .

ازف وقت الراحة، فتحلق العمال مادين زادهم ملتهمين ما معهم، وما كاد علي ينهي طعامه حتى نظر الى الرجل العجوز فالفاه يفرك يديه ، ففاتحه:
— من وين انت يا عم ؟
— انا يا بني ..... من هون .. مشيرا الى رابية غطتها النباتات البرية وشجيرات صبّار، وباقي شجرات يبست فروعها، هذه بلدنا انا من عرب الحوارث ..

وصمت محملقا بتلك الرابية، وبدأت تترقرق في مآقيه الدموع، فقضقض علي عصاه مثبتا انظاره بتجاعيد وجه الرجل ، متوقعا منه أن يكمل ..
— ... واليوم، اليوم من سكان مخيم طولكرم ، وابني الوحيد مسجون من خمس سنين لكل عمره، واولاده وزوجته في رقبتي .
تخن صوته وقبضت على حلقه غصة، صمت الرما، ثم بدأت تداعب شفتيه بسمة فيها آلام تبدو كبيرة على كاهل هذا الرجل .

— اهل بلدنا وهذه البلد — مشيرا الى الطلل المجاور — كنا جيران وعايشين في اللذة والنعيم، حتى تلك السنة، وفي ليلة قامت قيامة البلاد، ومختارنا يقسم الايمان الغليظة، انه ما يطلع من البلد الا محمول، واجتمعنا في داره ولمينا لمّه، ودفعنا كل ما معنا حتى يشتروا سلاح، فما كان حيلة بلدنا غير كم بارودة مدمولات، الانجليز عذبوا كل واحد عنده قطعة سلاح عذاب الشياطين، وسافر المختار يجيب سلاح، ولا هو رجع ولا السلاح جا، ما مرت أيام ، وفي ليلة من الليالي والا الرصاص يصفر على الابواب والحرايق ولعت، والصراخ قام لا احد وعي على ولده ولا ولد عرف حال امه، ولا أتعرف مين مات ومين بقي ودبت اهل بلدنا حالها على اهل هذه البلد، وتجمع الرجال هون بعد ما رحّلوا الشيوخ والنساء والاطفال للشرق، وقررنا نقاوم بقطع السلاح



اللي معنا، كنا نضرب رصاصة، يجينا الف . وتناول طرف ثوبه رافعا اياه فبانت في أسفل بطنه آثار جرح كبير - هون في هذا البيت انصبت، وقتل من أهل بلدنا خمسة ومن أهل هذه البلد سبعه، وقدرنا توقفهم نهار كامل، وعندما حل الليل ما بقي معنا رصاص قررنا ننسحب . . .
- . . . . . اوف . . .
- كان صاحب هالبيت رجل ولا كل الرجال . . الله يرحمه .

وهنا تغيّرت ملامحه فجأة، وكأنه فطن لامر ما مرّ على باله، واخذ يحملق بوجه علي مليا فاغرا فاه ترتج شفتاه دون أن ينطق بكلمة، واخذت أوصاله ترتج واحس ان شعر بدنه يقب، وقبل أن يتفوه بكلمة ربط جأشه . .
- شو قلت لي اسمك يا عمي . .
تخللت رعشة ثنايا علي: علي
ففغر الرجل فاه وقد أصلح من جلسته:
- علي . . ابن محمد العبد ؟؟؟

لم يكد علي يهز رأسه بالايجاب حتى كان بين ذراعي الرجل شادا اياه الى صدره يشبعه بالقبلات، وقد سالت دموعه فاحسها علي حاره على وجنتيه، فأحاط منكبي الرجل، وراوده شعور لم يحسه من قبل في حياته، ووقف من كان معهما مشدوهين لا يعرفون للامر تفسيرا، ابتعد الرجل عنه وما زال قابضا على ذراعيه:
- علي ابن محمد العبد، والله فوله وانفلقت من اختها، كيف راحت عن بالي ؟ آه العتب على العمر ؟؟ تعال يا ابني تعال ؟؟

وسارا ومن ورائهما بقية الرجال ميممين شطر البيت، دخلوا غرفة وقد امتلأت بالاوساخ والمواسير على انواعها والرشاشات وبعض الالات الزراعية، ورزم من الاكياس، ورزم من القش المهيأة المخزونة للحيوانات وتسلقوا الدرج الذي سقطت بعض درجاته الى العليّة، وقف الرجل امام بابها يجول بنظره في جنباتها، فما زالت حفر الرصاص بائنة للعيان، والتفت الى علي:
- هون اصبت . . وهون - مشيرا الى مكان امام الشباك الغربي - آه . . . اسلم ابو علي محمد العبد روحه . .

ما كاد يسرح هذا حتى علا وجيب قلبه، وتغيّرت ملامحه، غزا الشحوب محياه، وانفتحت عيناه، وقبضت على حلقه غصة، دون أن يبدي حراكا ودون ان ينطق بكلمة، ومرّ في مخيلته شريط باهت من طفولته، عن دار وسط بساتين . . . وعليّة . . وشجرة توت، وأمه تنازع سكرات الموت، تخرج الكلمات من فمها متقطعة ضعيفة ضعيفة، عن بيت وعليّة وشجرة توت ووالد لم يلحق بهما . . .
- ماذا تفعلون هناك ؟ من أذن لكم ؟ الدخول ممنوع . . لماذا تركتم الشغل ؟ سوف . . . .

فقاطعه علي وقد انتبه من غفلته ولم يكن بحال يستطيع معها السكوت وان تحمله منذ الصباح على مضض، فاعاد له الصاع الف صاع . . فعاد هذا ادراجه كمن نوى على امر ما فجأة، حاثا خطاه نحو سيارته استقلها وغادر، لم يغب طويلا حتى عاد ومعه قوة من الشرطة احاطت البيت مشرعة السلاح، وأمرتهم بالخروج، فخرجوا . .
- ماذا كنتم تفعلون هناك في المخزن ؟
فتشهم الضابط وفتش المخزن بحذر. قال: تقدموا الى السيارة . .
واقتيدوا الى سيارة الشرطة، ومن ثم الى المركز القريب للتحقيق .

## كولاج

من عناوين الصفحة الاولى في جريدة تصدر لاحقا :
- الثوار يواصلون عمليات الزحف والتطهير .
- قيصر الولايات المتحدة يلوذ بالفرار على متن طائرة هيلكوبتر . .
- واشنطن مدينة محررة . .
- تغييرات جذرية في خريطة العالم .

وشاء الرجل الذى حدثتكم عنه أن يحتفل بعيد ميلاده فذهب الى السوق واشترى تفاحة ووردتين وزجاجة نبيذ . في المساء أضاء شمعة بيضاء على مائدته الفسيحة المغطاة بشرشف ناصع البياض . حين قرع اصدقاؤه الباب طردهم واحضر حجرا من سفح الكرمل وضعه على المائدة الى يمين الشمعة ووضع التفاحة الى يسارها . سكب النبيذ على المصطبة ثم جاء بورقة من درج مكتبه ووضعها برفق في مواجهة الحجر والشمعة والتفاحة . ادار الباتيفون فتدفقت في الغرفة الفسيحة أحزان البيتوني ودموعه المعتقة (أعتق من النبيذ المهروق ، بلا شك ) . .

وكتب ذلك الرجل على تلك الورقة رسالة الى امه :

"في طفولتي تاخر معاش المعلم فغضب كثيرا واقتلع خصلة من شعر راسي / في فتوتي داهم الغزاة قريتي واغتصبوا حبيبتي / قاومت حبيبتي باظافر لم تعرف المانيكور / غضب الغزاة كثيرا واقتلعوا جديلة حبيبتي / في شبابي كان لا بد للدبابة من طريق / تعبره بخط مستقيم نحو قلبي / بين الدبابة وبين قلبي كانت زيتونة في شهرها التاسع / غضبت الدبابة كثيرا واقتلعت زيتونتي من شعرها / . .

الليلة احتفل بمرور سبعة قرون وسبعة أعوام وسبعة ايام على ميلادى / واغفرى لي يا امي اذا كان احتفالي قاسيا . . / من خصلة شعرى وجديلة حبيبتي وجذور زيتونتي / جدلت كرباجا لهبيا / وانهلت به على ظهر الكرة الارضية / أغفرى لي يا امي / اذا كان احتفالي قاسيا . .

من عناوين الصفحة الاولى ــ يديعوت أحرونوت ــ الاحد ١٩٨١/٣/٢٢ :
- اشراك السعودية في مفاوضات السلام ــ ضمن محادثات بيرس مع ملك مراكش وشقيق حسين .
- المعلمون قد يقررون اليوم : الاضراب . .
- اسرائيل تقترح اشتراكها في جهود تعزيز قوة الجيش الاميركي . .

ســـأل الصحفيون الاجانب ذلك الرجل عن التداعيات التي تثيرها في نفسه زهرة البرقوق البرية فقال:
مريم العذراء حانية على يسوع الطفل/ أبونا جريس أمام المذبح/ والدة الشهيد في يوم الاربعين/ أسير الحرب أمام الصحفيين الاجانب/ حبيبتي مريضة أو يائسة/ أنا، في حالة الحزن السرّي/ وربما، راقصة الباليه في نقطة الانطلاق.

# حوادث الطرق

كثيرة حوادث الطرق
كثيرة في هذه الايام
سيدة حبلى تنوح وحدها
في "جادة السلام"
حوادث الطرق
ورجل مكعبل
ينتف شعر رأسه الاصلع
في مفترق الطرق .

...

حملت اكليلاً من الزهور
ورحت اقطع البلاد هائماً
في زحمة المطار والأرصفة والقبور .

...

فوجئت عند كل منعطف
بجثتي المدهوسة
وعندما استنكرت واستفسرت
قيل لي بلا كلام :

" يا ايها المواطن الغبي
كم دهستك شرطة السير
ومرت بعدها على بقايا جثتك
سيارة الاسعاف !! "

كثيرة حوادث الطرق
كثيرة في هذه الايام
ويل ثم الف ويل
لكل من يصحو ومن ينام !

قلت له : صارحني أيها الرجل.
قال : أصارحك ..
ثم وضع على رأســه خوذة حربية وبدأ الكلام:
"في البدء، نترك الابواب قليلا ونتفحص المداخل الخلفية سيجدي الامر أناسا متحضرين حقا. من الملاحـــظ أن الاصوات العالية تثير اهتمامنا. لا بأس في ذلك، لكننا لا نستوعب الصدى جيدا. وهذه الوجوه الكثيرة، وجوه البشر والنباتات، وجوه الحيوانات والظواهر والجوامد، تشدنا اليها، ثمّ تصرفنا عنها وتتركنا متخبطين بين الحنان والقسوة واللامبالاة. تتركنا دون طائل. نحاول ســبر غورها فتظل حاجزا مهلكا بيننا وبين اللباب. ولا أخفي عنك أن وجهي نفسه يحول بيني وبين نفسي. هو باب الجنة بلا شك.. وهو باب الجحيم حتما".
ضغط جبينه المرهق برؤوس أصابع يده اليسرى وأتبع:
"هو باب الجنة وهو باب الجحيم. انما لنترك الابواب قليلا ولنتفحص المداخل الخلفية. لنتفرّس في العيون المقابلة وما أشد فزعنا آنذاك. حيث ندرك مدى تباين العناصر. وسنستعيد توازننا حين ندرك أن تلك العناصر قابلة للفهم رغم كل شيء".
ابتسم الرجل المكدود وأردف في محاولة اقناع يائسة، أو شبه يائسة في أحسن حال:
"لا بأس يا أخي ورفيقي، لا بأس. فان جبال الجليد العائمة مرهونة بمجاهلها وأسرارها الغائرة".

سميح القاسم

# خطوط سوداء متعرجة على الخرائط

للكاتب الفلسطيني فاروق وادي - بيروت

فاروق وادي ، قاص وروائي فلسطيني تقدمي، يعيش في بيروت ، تخرّج من الجامعة الاردنية ـ قسم علم الاجتماع ، قبل سنوات ، عاش فترة طويلة في الضفة الغربية المحتلة ، ودرّس في مدارس رام الله ، طرد من الاردن عام ١٩٧٤ بسبب آرائه السياسية ، صدر لفاروق وادي مجموعة قصصية عام ١٩٧٥ بعنوان "المنفى ٠٠يا حبيبتي" وصدر له عام ١٩٨٠ عن دار ابن رشد في بيروت روايته الاولى "طريق الى البحر" . وقد لفتت هذه الرواية انتباه النقاد له ، حيث يمتلك أسلوبا متميزا بتوجهه نحو "الحنان الشعرى" والجملة القصيرة المركزة ، يحلل شخصيات أبطال روايته بدقة وبراءة طفولية .

"الجديد"

هل ينزف البحر دما
ام ان قلبي متعب في هذه الايام .
ام ان أمي في "الخليل" لا تنام .
البحر سوف يذكر الاسباب ،
سوف يصفو ،
تركض الموجات كالحمام .

عز الدين المناصرة
من ديوانه "قمر جرش كان حزينا"

ـ ليست مدينتي وليست مدينتك ، لم البقاء ؟
قالت ،
وكانت الحقائب متاهبة للرحيل ، والمراة تستعد للسفر لم ترفع عينيك عنها ، لكنها انسلت والحقائب من تحت نظراتك ، فسقطت عيناك على الارضية الباردة . .وبقيت وحيدا .

وحيدا . . .

عندما تغيب كل الوجوه في ليل المدينة ، يطل وجهك ، مواجها لسكون الوحدة المرعب . كل مساء تعود الى غرفتك ، تستوطنك الوحدة ، تجلس بلا مدينة ، ولا امراة . تخرج المدن من ذاكرة مستعارة لتحتل ذاكرتك . والمراة التي كانت هنا منذ ايام ، تؤكد حضورها بين الجدران الاربعة ، لم تعد الان أكثر من ظلال تتحرك في خلايا الذاكرة . تفكر ، تحلم ، تستخرج اوراقا قديمة . . . رسائل وقصائد ومشاريع قصص . تقراها للمرة الاخيرة ثم تمزق الاوراق تمزق الكلمات ، وتحسد الذين يرفلون بنعمة اسمها الوطن لانهم قادرون على الاحتفاظ باوراقهم الحميمة .

ليس ثمة من يؤنسك ، تنتظر صوتا تائها يقتحم وحدتك ، تراقب فراشة تحوم حول الضوء ، تلاحقها عيونك وهي ترف فوق راسك ثم تحط فوق الضوء ، فتعكس ظلا واسعا يملؤك بنشوة الاحساس بأن ثمة كائنا يشاركك الجدران ووحشة المدينة .
ـ ليست مدينتي وليست مدينتك . .

.
.

حدّثتك عن الشمس والبحر في مدينتها ، وكنتما معا تقفان على شاطىء بحر هذه المدينة ، بيروت ، الذي كان ينشر زرقة غريبة على امتداد المدى . لم تكن هي الزرقة التي كنت تظنها للون البحر ، مثلما لم تكن بيروت هي المدينة التي كنت تظنها . .فاستعرت من والدك الذاكرة ، وحدثتها عن بحر آخر ومدن اخرى على البحر لم ترها عيناك .

قالت تحاول الوصف :
ــللبحر هناك رائحة مميزة، ولزرقته خصوصية شديدة .
عجزت عن ايجاد عبارة موازية فلم تكن قادرا على الوصف، فجاء صوتها مضيفا :
ــ ستكتشف ذلك بنفسك عندما نلتقي هناك .
انتصبت امام عينيك اسوار يرسمها غياب وثيقة السفر . وتمتمت في سرك . . . نلتقي .

عبرت الحدود المرسومة على الخرائط ولم تحمل جواز سفر . زرعت جسدك في هذه المدينة . فكانت بيروت حجرا . فاستخرجت المدن المحبوسة في الذاكرة وقلت سوف يكون للنساء هناك صدور تمنح الدفء للرؤوس المتعبة .
في آخر المدن ، قال لك المحققون :
ــ كنتم تظنون ان "عمّان" قد اصبحت مدينتكم وانتم تطوفون جبالها باسلحتكم . . "عمّان" الان لم تعد الا لاهلها . كنت صامتا ، تؤكد اصرارك على الصمت امام الاسئلة . . وعمّان هي الاخرى ظلّت صامتة بعد ان كانوا قد غسلوا وجهها بالدم والبارود . وعندما حملت شهادة التخرّج واوراقا كثيرة مزدحمة بالاختام ، كانت وجوه الاقارب والاصدقاء تحدق اليك ، تطرح التساؤل :
ــ هل وجدت عملا ؟
لن يسمح لك بالعمل ، ستموت جوعا ، قيل لك . وتتذكر التذييل الذى اصبح مرافقا لكل الطلبات التي تقدمت بها للعمل . . . "لا توصي بتعيين المذكور" .
ــ لا ، لم اجد .

لن تجد ، انقع شهادتك واشرب ماءها ، قيل لك ، فتقول لم أجد ، بسرعة ، وكأنك تحاول ان تطرد ذبابة عجوزا حطّت على وجهك وتكافح للانفلات خوفا من الاطالة في الموضوع .
وفي البيت يستقبلك وجهان عجوزان :
ــ هل وجدت عملا ؟
فتقف منكسرا وتختزل الاجابة . . "لا توصي بتعيين المذكور" ، وتوقن : " ليست "عمّان" مدينتك ، لم البقاء ؟؟" . ثم تعبر المدن نحو بيروت دون وثيقة السفر .
ــ "هل وجدت امرأة ؟" .
الوجه الاسمر القروى الاليف رغم حدة ملامحه ، الذى كان يطرح عليك السؤال دائما ، لم يمهلك زمنا للاجابة ، فقد غيبه السجن البعيد في صحراء "الجفر" منذ ذلك اليوم من اواخر ايلول . . . "وجدتها ايها الصديق البعيد . لكنها الان تغيب خلف خطوط سوداء متعرجة على الخرائط . كانت دافئة القلب ، دافئة الجسد ، لكنها كانت امرأة قابلة للسفر" .



واحـــد ، اثنان ، ثــلاثـــة . . .
تقيس المسافة بينك وبينها بمعايير عجزك عن السفر، فتكتشف كم هــو شــاق وعصي عليك أن تقتطع تلك المسافة، تبتعد كل الاشياء القريبة، وتحس أن المرأة البعيدة أصبحــت أكثر بعدا .

واحد ، اثنان ، ثــلاثـــة . . .
الخطوات محدودة، والطريق اليك يا ســيّدتي بعيد. قالوا للأمير ، تعبر غابة الغيلان لكي تصل الى الاميرة . . وهل كانت الغيلان تطالب بجواز ســفر ؟

واحد ، اثنان ، ثــلاثـــة . . .
والخطوات لا تكون طيّعة الا وانــت تتجـه الى بيتك الذى ليس بيتك ، تجر ذيول يومك باقدام متعبة .

الليل ، . . . وانت بلا وثيقة تثبــت هويتك . هكذا انت في هذه المدينة وفي كل المدن ، معرض للمصادرة في اية لحظة . . . لحظة تاتي مــن خارج التوقع ، يقف فيها شرطي متعب ممتلىء بالضجر على زاوية في الاشياء الهامشية، يحدّق في وجهك فيـــرى شيئا ولا يفهمه، ولانه لا يفهـــم الاشــياء في وجهك كما هي ، ولانه ممتلىء بالضجر، يطلب منك اوراقك الثبوتية .

ـ اية وثيقة تثبت هويتك ؟؟
ها هي العيون ، والوجه نفسه الذى ينصلب عليه الضجر . ذات العيون ، وذات الوجه الذى تتوجس في كل لحظة من الاصطدام بــه .
يهزك وانت واقف بوجوم :
ـ هويتــك ؟
تبحث في جيبك ، تمثل النسيان .
ـ نسيتها .
يضحك ، فيسقط الضجر عن وجهه وهو يجذبك من كتفك ، لتقف آمام رجل آخر مستسلم لخدر النعاس وهو يلقي بتساؤلاتــه :
ـ مكان الاقامــة الدائم ؟
ـ بــلا .
ـ العمل ؟
ـ بــلا .
وبلا وثيقة ســفر . . ولا امراة . . ولا بحر ولا شــاطئ .

o o o

وحـــيـــدا ،
تقف بين جدران غرفة احكموا اغلاقها تنتظر صوتا تانها يركض اليك ، ، أو فراشــة تحوم حول الضوء ـ الرغبــة في السفر تستيقظ في داخلك . . .
حبيبتي . . ها انا ذا قد جئت اليك ، ســربا من النورس الظامي ء للسفر .
خطــوة ، خطــوتان ، ثــلاث . . .
تهمّ بالخطوة الرابعة، فتصطـــدم بصلابة حائط الزنزانة الذى امامك ، وتحس ان الجدران كلها تتداعى للعناق . . آه . . . كم هو شــاق وعصي عليك ان تقطع مسافة لا تزيد عن خطوة . . خطوة واحدة اخرى .
ترى صحارى ، وبحارا كثيرة تكمن في كل خطوة، وثمة ليال كثيرة تفصيل بين الخطوة والخطوة ، وتمتلىء رعبا حينما تحاول ان تفكر كم من الخطوات تختزنــها الاف الاميال .
"بين الخطوة والخطوة مسافـــات شــاسعة لا تطالها الرؤية" .
فكــرت ،
واصبح الشق يزداد اتساعا بينك وبين المرأة الغائبة، فسقطت على الارض متعبا وحزينا .
كان ســرب النورس المسافر، فــي تلك اللحظة ، يفر من جسدك ليعبر الخطوط السوداء المتعرجة علــى الخرائــط .

# "جفــــرا"

مجموعة جديدة للشاعر عز الدين مناصرة . . .

للشاعر الفلسطيني المعروف ، عز الدين المناصرة، صدرت مؤخرا مجموعــة جديدة بعنوان "جــفــرا" تقع في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط وتضم عشر قصائد، نشر عدد منها في مجلة "الجــديــد" .

وقد صدرت المجموعة عن الاتحاد العام للكتاب والصحفييـــن الفلسطينيين وصمم غلافها اميـــل منعم .

ويذكر ان الشاعر عز الديــن المناصرة يقيم حاليا في صوفيا ، عاصمة جمهورية بلغاريا، حيث يعد اطروحة الدكتوراه في الادب المقارن وصدرت له حتى الان خمس مجموعات شعرية ، ودراستان : الفن التشكيلي الفلسطيني وملاحظات حول السينما الصهيونية . كذلك صدر له كتاب بعنوان : "عشاق الرمل والمتاريس" وهو مذكرات عن تجربة الشاعـــــر القتالية في الحرب اللبنانية (١٩٧٦)

والشاعر المناصرة ليس جديدا على قارئنا المحلي ، حيث تعرف اليه عن صفحات "الاتحـــــاد" و "الجـديـد" كذلك طبعت لـــــه مجموعتان في اســرائيل ، وقــد قــررت مكتبة ومطبعة ابو رحمــون في عكا اعادة طباعة المجموعــة الاخيرة "جــفــرا" وســتصدر قريبا .

# وعد بلفور في تراثنا الشعبي

بقلم : ليلى ناصر

**تتابعت الاحداث والنكبات على شعب فلسطين ، واستمرت الثورات من ١٩١٩ حتى ١٩٤٨ كانت تعصف احيانا وتهدأ احيانا اخرى .**
**تفاعلت الاغنية الشعبية باحداث فلسطين وتناولت الاغنيه الشعبيه مواضيع لم تطرقها من قبل ، تددت بوعد بلفور المشؤوم لما عاني من العرب ، فكان عليهم وبالا ، غدر الانكليز بالعرب مرات ونكثوا بتعهداتهم لملوك العرب .**

استأنف الفلسطينيون الثورة وهم يتغنون ببطولاتهم ، ويندددون بالإستعمار والصهيونية فكان الشعر الشعبي اداة من ادوات نضالهم يعبرون به عن مشاعرهم ويطالبون بحقوقهم وكان الشعر الشعبي احيانا، كانه ينطلق من فوهات البنادق وجدليا احيانا يخاطب الضمائر ويناشد العدالة .

سجّل الشعر الشعبي احاسيس الشعب ومخاوفه من وعد بلفور حيث أظهر سخطا عنيفا تبلور شعرا متدفقا منددا بالوعد وبصاحبه طيلة الانتداب البريطاني :

زمان مضى كنا جماعة
يهود وعرب عاشوا بطاعه،
وعدك يا بلفور أظهر فظاعه
حل الشريعه مع القانونا
دعتنا الصخرة وجبنا نداها
وصوّبنا السهم فيمن عداها
اشهد يا ربّي نحن فداها
فلتحيا الصخره رغم الصهيونا

تناولت الاغنية الشعبية النهضة القومية منبهة العرب الى ما يحاك ضدهم من دسائس ليطلعوا على الاخطار المحيقة بهم مبصرة بالحقائق ومنبئة بالكارثة ومتوقعة المأساة:

سجّل يا قرن العشرين
جهاد وثورة فلسطين
ودبرها يا مستر بيل
بلكي على يدك بتحل
وبلفور خبّر دولتك
لندن مرابض خيلنا

استمر نضال الشعب الفلسطيني، فشنت السلطات البريطانية حملة اعتقالات واسعة في صفوف رجال الثورة، والقتهم بكل عسف وجور في غياهب السجون والمعتقلات، كما اعتدت على المدنيين الابرياء العزل من السلاح وصرعته برصاص بغيها الكثيرين منهم كما اتلفت محاصيل اراضيهم وفرضت عليهم ضرائب وغرامات استثنائية، فلم يزد الثوار الا تصميما على متابعة الثورة الشعبية والصمود امام الاعتداءات وانتهاك الحرمات والفخر ببطولاتهم فانطلقت الاغنية الشعبية تقاوم الاستعمار:

أصبر على الضيم ان جار الزمن وحكم
والنذل يا ناس على ليث البوادي حكم
الباز قدره وطي والبوم صاح وحكم
ناديت كيف العمل تاه الدليل وضاع
العاطلة تنشهر والسابقة تنضاع
ناديت يا أهل الحمية اليوم حقي ضاع
شوفوا العوج وانصفوا واجروا علينا الحكم



كما جسّدت الاغنية الشعبية الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين والتفافهم حول الثورة، فانطلقت صيحات المؤذنين في مآذن الجوامع ودقات النواقيس في الكنائس مصرّة على الوحدة بين افراد الشعب الفلسطيني

الاهالي والشعب بتصيح آمين
الكنائس والجراس تدق آمين

تعمّد البريطانيون الايقاع بين جماهير الشعب بالتمييز بين من يلبس الكوفية والعقال من اهل الريف والقرى، ومن يلبس الطربوش او يسير مكشوف الراس من اهل المدن، مما اضطر سكان المدن الى ارتداء الكوفية والعقال بدلا من الطربوش لتغطية تسلل الثوار القرويين والحيلولة بذلك دون تمكن افراد البوليس البريطاني من تمييز الثوار فكانت الاهزوجة الشعبية:

الحطه والعقال بسبع قروش
والحمار لابس طربوش

ومع ابتلاء الشعوب العربية بالاستعمار ومقاومتهم له، فقد ابتلى الشعب الفلسطيني بالصهيونية، فكان عليه ان يجابه الاستعمار والصهيونية معا.

لقد عمل الاستعمار على تجويع الشعب الفلسطيني وسلب ارضه واحكام الطوق حوله ليضربه الضربة القاضية ممهدا للعصابة الصهيونية القضاء على الشعب الفلسطيني.

ولكن عرب فلسطين استخفوا بالصهيونية وبمعركتهم معهم متمسكين بحقهم بارضهم. فتوجسوا خفية من ازدياد الهجرة اليهودية، وتسهيل الحكومة البريطانية الاجراءات لهذه الهجرة، بدخول البلاد قامت المظاهرات والاضرابات وانطلقت الاغنية الشعبية تندد بالعصابات الصهيونية وتنبّه الغافلين الى استنهاض الهمم:

يا ناس شو ها السخمة صهيوني مع الغربي

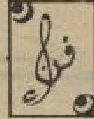
لكن الفلسطيني امام كل هذا لم يهدا ولم يضعف بل وقف بكبرياء واعتزاز امام ما يرام من امتهان لحريته، وسلب ارضه فلم يصدق ما تراه عيناه:

وأنا العربي يا عيوني،
تحت السيف رصوني
والله لنوري الصهيوني
واحمي بلادي فلسطين

لكن احداث فلسطين تدمي الفلسطيني بعدما جرى لها من مصائب وكوارث حيث كانت تنعم بالهدوء والسلام.

مسكينة يا فلسطين وحزينة يا فلسطين
شو قضيتو أيام حلوين

فهل يموت من في قلبه الحياة، والذي تمرّد على الذل والهزيمة والهوان، فكانت صورة يأس الشاعر من الواقع الذي يعيشه اهله وامته.




# مارسيل خليفة يتحدث عن الحركة الفنية في اليمن الديمقراطي


خليفة يتسلم ميدالية التضامن

شارك من لبنان الفنان مارسيل خليفة وفرقة "الميادين" في الاسبوع الفني الذى أقيم في اليمن الديمقراطية بمناسبة انعقاد المؤتمر الثامن لاتحاد الشبيبة الاشتراكي اليمني (أشيد) . وقد شاركت في المهرجان الفني فرق غنائية وموسيقية ومسرحية من عدد من البلدان منها الاتحاد السوفياتي والمجر والمانيا الديمقراطية وفلسطين وأثيوبيا بالاضافة الى فرق فنية يمنية محلية . وشمل الاسبوع الفني عدة لقاءات تضامنية وشبابية ولقاءات فنية وعروضا مسرحية .

وقد شارك فرقة "الميادين" ومارسيل خليفة بثلاثة أيام فقط وذلك بسبب تحضيرها لعملها الموسيقي الغنائي المخصص للشهيد كمال جنبلاط .

وقد قلد الفنان خليفه ميدالية ذهبية في المهرجان بحضور رئيس الجمهورية الرفيق علي ناصر محمد وأعضاء اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني . وقد قدمت فرقة "الميادين" وخليفة حفلة في المسرح الوطني وواحدة في "دار الصداقة" وواحدة ختامية تم فيها توزيع الميداليات .



عن زيارته لليمن يقول الفنان خليفة : انها المرة الثانية التي لبيت فيها دعوة للغناء في اليمن . كانت الاولى عام ١٩٧٩ (وهي ثالث بلد عربي بعد الجزائر — ٣ مرات — ومهرجان قرطاج في تونس) . وقد لمسنا خلال هذه الرحلة حركة فنية كبيرة جدا مبنية على اساس صحيح من حيث التركيب والتنفيذ.

فمحليا لديهم فرقة فنية تهتم بالاغنية . وهذه الفرقة شبابية تابعة (لاشيد) وتضم اكثر من عشرين عنصرا . ومدرب هذه الفرقة هو جعفر حسن المعروف جدا . وقد برزت في هذه الفرقة عدة مواهب فنية من ناحية العزف . وبالنسبة للغناء ، احب ان انوه بالشابة ذكرى محمد وهبي ، التي يبدو انها تبذل جهدا فنيا جديدا من ناحية الاداء والحضور المسرحي ومن ناحية التركيز على هيكلية الاغنية الشعبية اليمنية . واعتقد ان هذا الاسم سيكون له شان في عالم الغناء .

❁ ما هي ملاحظاتك حول هذه الفرقة ؟

— مسيرة عملهم لم تبدأ منذ فترة طويلة ، انها فرقة حديثة العهد . هناك امكانيات كبيرة أبدوها في هذا المهرجان من جميع النواحي على صعيد العزف والاداء وعلى صعيد طرق المواضيع الفنية الجديدة في الاغنية . ملاحظتي واحدة وهي أن يحاولوا اكثر ادخال العناصر التراثية في عملهم ، لانهم في ذلك يصلون اكثر الى اذهان الناس ، مثلا : آلة المزمار او آلة الطبل او حتى آلات كالناى والقانون والعود . واعتقد ان هذه المسالة سيتم البحث فيها . وعن قريب ستملك هذه الفرقة امكانيات اكثر للتعاطي الجيد مع الناس والاغنية .

❁ ما مدى التجاوب الشعبي مع هذه الفرقة ؟

— بالحقيقة ، لاحظت العطف الكبير تجاه هذه الفرقة . وهذا ما لمسناه في الامسيات التي قدموها في العاصمة عدن . ولكن ، بالطبع ، ليس هذا الحضور هو حضور كاف ، وهذا عائد لقصر عمر التجربة . انهم يخطون خطوة كبيرة نحو تعميم الاغنية .




# في اليمن الديمقراطي حركة فنية كبيرة

❁ ونوعية الاغنية ؟

ــ تعتمد الاغنية اسلوب الغناء الجماعي احيانا، واحيانا اخرى اسلوب الغناء المنفرد، موسيقيا، يعتمدون على الالحان الشعبية. ولديهم ايضا الحان جديدة للغناء.

❁ هل هي اغان سياسية ؟

ــ الاغاني التي تطلق عليها التسمية السياسية ما زالت محصورة في موضوع واحد هو موضوع ساخن. شيء مهم أن نغني عن وحدة اليمن ونضال شعبها وعن الثورة ولكن من المهم ايضا ان نحكي اكثر واكثر فرح الناس باغانينا. ما زال للاغنية السياسية موضوع واحد، هو الموضوع السياسي. يجب تنويع مصادر الغناء. وهذا برأيي يجب ان يأتي في الخطوة اللاحقة لتصبح هذه الفرقة معنية اكثر فاكثر بالناس.

❁ وبالاضافة الى هذه الفرقة ؟

ــ هناك فرقة مهمة جدا اسمها فرقة "الانشاد"، وتضم مجموعة موسيقية كبيرة ومجموعة غنائية ومجموعة للرقص الشعبي. كافة عناصرها من الشباب ايضا، وهي تابعة لوزارة الثقافة. هذه الفرقة تهتم بالانشاد والاهازيج الشعبية والتراث الكلاسيكي العربي. وفرقة الرقص التابعة لها تعمل على تطوير الفولكلور بأنها تقدم النماذج الشعبية في اطار جديد على المسرح، واعتقد ان لهذه الفرقة آفاقا واسعة جدا لانها تعتمد على التخطيط الفني والتقني الحديث والمتطور. فمثلا، خلال امسية قدمتها هذه الفرقة لم يكف الجمهور لحظة واحدة عن الغناء والتعبير بالرقص والايقاع مع الفرقة، وكدنا، في مرات كثيرة، لا نستطيع التفريق بين الفرقة والجمهور. هذا التلاحم الكبير هو دليل النجاح.

وهناك على صعيد المحافظات نشاطات وفرق فنية كثيرة. ولكن لم يتسن لنا الوقت أن نرى اي عرض قدموه.

❁ وماذا عن الفرق الاجنبية ؟

ــ جميع الفرق المشاركة قدمت عروضا مشتركة من رقص وغناء ومسرح وقد لاقت الفرقة الاثيوبية صدى خاصا. فمع هذه الفرقة كانت الصالة تشتعل مع كل عرض بسبب الايقاع الجميل والحركات الراقصة الجميلة. رغم عدم فهم الجمهور لاية كلمة. ففي البداية كانت تقدم تعريفات بسيطة عن مضمون اللوحة.

❁ يبدو انك قد لاحظت تغييرات في زيارتك الثانية؟

ــ بالطبع، هذا التغيير حاصل. عندما ذهبت في المرة الاولى الى اليمن كانت هذه الفرقة والنشاطات في بداياتها. وقد لمسنا بالفعل، رغم قصر المدة، التجربة العميقة والكبيرة والجدية.

❁ كيف كان التجاوب مع خليفة ــ الميادين ؟

ــ تطورت علاقة الجمهور اليمني باغنيتنا الى حد غير معقول عن زيارتنا الاولى. الجمهور كان يغني بصوت واحد اكثر من مقطع لاغانينا.

❁ مثل أي أغنية ؟

ــ ليس نوع محدد. مثلا، "جواز السفر" وفي نفس الوقت "اجمل الامهات" او "وقفوني عالحدود" او "هيلا".

هذه الاغنيات، بكل انواعها، كان لها وقع شديد التأثير. زيارتنا الاولى كانت بداية التعرّف الى الاغنية الجديدة. الان احتلت هذه موقعا مهما عندهم واحبوها.



❁ هل يساعد الاعلام الرسمي هناك بانتشارها؟

ــ لا احب التركيز على وسائل الاعلام كثيرا. ما سبب انتشار الاغنية في دول الخليج أو في دول عربية أخرى ؟ طبيعي. الوضع في اليمن الديمقراطية مختلف. هناك اتصال طبيعي بين وسائل الاعلام والناس. في عدن او في اليمن الديمقراطية عامة لا تهرّب "الكاسيت" تهريبا. في مناطق اخرى تنتشر "الكاسيت المزورة"، بشكل مهرّب (حادثة الارض المحتلة).

❁ وماذا عن الميدالية ؟

ــ الميدالية كانت تعبيرا من الشباب اليمني الى الشباب اللبناني من خلال اغنيتنا التي زادت أواصر الروابط بين شبيبة لبنان وشبيبة اليمن. ومن هنا، لا اعتبر هذه الميدالية شخصية لنا، والتكريم ايضا شمل كل الافراد المناضلين في حركة الشبيبة باليمن. كما نال مؤسسو حركة اتحاد الشباب اليمني ميداليات بمناسبة العيد الثامن.

# نظير مجلي

## المركز الثقافي البلدي في الناصرة في "الصوت الغجري":

في غير مرّة اعرب رياض مصاروة عن رغبته في ان يصبح لدينا نقّاد مسرحيون حقيقيون يكتبون بموضوعية وعمق عمّا ينتجه المسرحيون في وسطنا العربي. كان يقول دائما: لن نصنع مسرحا حقيقيا الا اذا نشا نقّاد حقيقيون. وكنت احس في بعض الاحيان انه يبالغ في الحديث عن هذا الموضوع فانهيه مطالبا: اصنع لنا مسرحا فسيتنفر النقد. لكنه يعود في مرات تالية ويطرق الموضوع..

واليوم بعد ان شاهدت عمله الجديد (السادس) الذي اسماه "امسية الصوت الغجرى" يخيل اليّ انه يستنفر دعاة الكتابة النقدية لان يتحركوا ويثبتوا "موضوعيتهم وعمقهم" فيكتبون بصراحة عن عمله الجديد كما يستحق. ولذا وجدت نفسي ليس داعيا النقاد للكتابة فحسب بل منضما اليهم، وربما مبادرا، لقول بعض ما اعتقد ان قوله ضرورى لفائدة حركتنا المسرحية في البلاد ولاجل دفعها الى امام لتاخذ موقعها الطبيعي مع سائر دروب الفن والادب التي تطوّرت مع تطور شعبنا في وطنه وفي غربته.

قلنا هذا هو العمل السادس للمخرج المسرحي رياض مصاروة، فرياض مذ عاد الى وطنه قادما من المانيا الديمقراطية، حيث درس الاخراج المسرحي (وانهاه في العام ١٩٧٧)، اخرج مسرحية "البيت القديم" لمحمود دياب وقدمها مع مجموعة من الطلاب الثانويين. ثم قفز فنيا وموضوعيا ليمسرح قصة الكاتب الفلسطيني الشهيد غسّان كنفاني "رجال في الشمس"، ويخرجها عبر مسرح الصداقة في الناصرة (مجموعة من الممثلين الهواة والمعروفين من ابناء الناصرة انتقلوا الى العمل الان مع رياض في استوديو المسرح). ثم اخرج مسرحية "بنادق السيدة كرار" لبريخت وقدمها ايضا مسرح الصداقة. ثم قدّم امسية اشعار وطنية، تبعها بمسرحية "الحضيض" لمكسيم غوركي "ستوديو المسرح". والان قدّم "الصوت الغجرى". وخلال هذه الفترة قدّم رياض وساهم في اخراج لقطات ومشاهد مسرحية هنا وهناك ونشط في ترجمة الكثير من المقطوعات الادبية الاجنبية وكتابة المقالات التحليلية والنقدية في المسرح وغيره من دروب الفنون والاداب.



# عمل جديد بشكله وطابعه، هل نحتاج اليوم الى "أي" جديد؟

وباختصار .. كان انتاج رياض عاما رخما وتكلفنا بوحي بأن هذا الفنان لا يعرف الشروط ولا الكلل .. وانما يعمل باستمرار وعلى هذا يستحق التقدير. غير أنه في "الصوت الغجري" لم يكن كذلك، رياض كما عرفناه "رجال في الشمس" واخواتها. انما قدم لنا عملا جديدا رغم جودته الفنية يحتاج بجدية للتدبر الى تأمل.

## العمل

سياحة وربع الساعة أراد لنا رياض أن نجلس في القاعة ونشاهد ممثلين مسرحيين يبذلان جهودا جمة ليعرفانا على معاناة الشعب الغجري من خلال القاء عدد من القصائد الغجرية التي جمعت من افواه المطربين الغجريين في الاسواق. وحاول رياض أن ينظم هذه القصائد حسب مواضيع متسلسلة عارضة كما يقول في كراسة وزعت على المشاهدين قبل العرض - حتى يستطيع من خلالها أن يصور قصة شعب عانى الكثير من خطر الزوال.

انها فكرة رائعة بدون شك أن نشاهد في القاهرة مسرحية تعكس معاناة شعب يعاني من خطر الزوال.. خصوصا وانما نحن أيضا ننتمي الى شعب يعاني ويناضل ضد خطر ابادته. لكن هل نجح رياض في ايصال هذه الرسالة.. معاناة شعب بثقافته وحضارته، الى جمهورنا؟؟

هنا يوجد لنا تعالق مع رياض، فعلى الرغم من المحاولات لجعل الموضوع متسلسلا وواضحا.. المحاولات التي دعمها رياض بالاخراج المسرحي وبالتمثيل الجيدين وبالاضاءة الناجحة والمؤثرات الموسيقية المختارة فقد بقيت هذه المحاولات ولم تكن كافية لايجاد هذا العرض، وظهر العرض قراءات شعرية بأسلوب جديد متطور ولكن ليس أكثر من ذلك.

ولكي يتمتع المتفرج في الاعتداء الى رابط يجمع اللوحات الشعرية في موضوع واحد عليه أن يجري عملية تفسير البحث بسيرة.. يطول فيها المشاهد واحدا واحدا ويضيف لتوزيعها متناولا عن بعضها هنا وهناك.

بعد القيام بعملية كهذه يمكن تصور بناء موضوعي لموضوع قصة الغجر كما شاهدناها في "الصوت الغجري".

لقد تركزت القصائد بالاساس على تمزق العائلة الغجرية بسبب الفقر والمطاردة. ويدافعها أن الفقر الذي يجمع بين عاشقين سيرتبطان ولا يقدا هو نفسه أن يعود ويفرقهما ليلجأ كل منهما الى القتل واللصوصية والدعارة وتشتيل الهوة بينهما حتى تبلغ حدا لا يمكن جسره. وتكون سلطة الاغنياء قد طاردتهما واعتقلت أحدهما عقابا. ويحاول هذا المسكين عاما حتى يهتدي الى طريق الصواب - كما يقول - فلا يعود يحني ظهره ليلتقط تفاحة عن الارض ويستطيع .. "لو اجتمع الغجر اليوم لاستطاعوا أن يرجعوا الموت" .. لكنه يموت دون أن يمس به الغجر فهم يرحلون ويتركونه وراءهم.

ان هذه الفكرة جميلة وعميقة، لكنها كما ذكرنا لا تصل الى الجمهور العادي ببساطة وبشكل عادي. انها تضرب كثيرا في العقبات التي تعلقت امامها بسبب انعدام التسلسل الواضح والحوار المنطقي وذلك برغم كل محاولات الاخراج والتمثيل والاضاءة والمؤثرات الموسيقية الناجحة. لقد أدى هذا الامر في بعض الاحيان الى ضياع الصلة بين الاحداث الجارية على خشبة المسرح وبين جمهور المتفرجين، والى الاثارة الباطلة وظهران عدد من الافكار المعروفة من رؤوس المتفرجين بينما أراد لها رياض أن ترسخ في اذهانهم.

ازاء هذا الوضع نتساءل: الم يكن من الافضل اختيار أفضل هذه القصائد (وليس كلها) وتقديمها كقراءات شعرية مع مؤثرات موسيقية وضوئية وخروج الى المقصود من عرض هذه المادة للجمهور وتوصل الرسالة بوضوح وبساطة أكثر وبأقل جهد. وان شئتم اتخاذها لم تكتمل هذه المادة .. الدرامية ليستفيد منها رياض لاستعداد مسرحية متكاملة ذات حوار منطقي متسلسل يلائم واقعنا الحالي أكثر؛ خصوصا وان رياض صاحب تجربة ناجحة في هذا المجال (رجال في الشمس)!

## العناصر الفنية

في الواقع ان نجاح رياض البارز في تطوير الأداة الفنية وعناصر الابداع الميكانيكية في "الصوت الغجري" كان أحد الدوافع الاساسية لتوجيه الانتقاد له على اختيار هذا العمل، فلو وضعت هذه الاداة وتلك العناصر في عمل آخر لكنا شهدنا قفزة جديدة في أعمال رياض.

لقد استغل رياض مهارته الفائقة كل الغنى أو بقوته للمادة المعروضة ليعطيها أبعادا جديدة، حسب مفهومه للأمور. وذلك في تحركات الممثلين وفي وضع الديكور وتوجيه الانارة وغيرها. واعتمد على الديكور المصطنع المختفيا (أي بدون الديكور التقليدي ذي الرسوم والزينة والبقع الضوئية) مما أتاح للمتفرج أن يركز انظاره على الممثل نفسه ويتمتع بأدائه بشكل أوضح، كما جعل تحركات الممثلين في العلاقات أوضح مستغلا قدر الامكان (حسب قدرات الممثلين) على طبيعة الغجر وبساطتهم وحركاتهم على المسرح. كذلك نجح رياض في استخدام عباءة "سمال الظل" التي اضفت على العمل جوا خاصا وساعدت على حل الكثير من عقد الاخراج بشكل فني ابداعي. وكان ملفتا بشكل خاص مشهد السجن. وبشكل عام ركز رياض في اخراجه "الصوت الغجري" على الاضاءة كثيرا حتى غدت عنصرا أساسيا من العمل. ولقد قام عماد حداد بتوجيه الاضاءة بنجاح فائق وبتفنن. وكذلك كانت الموسيقى الغجرية جيدة مع انها لم تكن غجرية أصيلة بمعظمها وانما مستحدثة.

أمّا التمثيل المسرحي في هذا العمل فكان علامة أخرى تدل على الطاقات الفنية التي تكمن في صدور فنانينا.. وتدل أيضا على عطائهم وعطشنا لهذا الفن الأصيل - المسرح. لقد أعجبنا مكرم خوري وسلوى نقارة حداد، بانهما يقدمان كل ما لديهما بحرارة واخلاص لهذا العمل، فكانا جريئين وطليقين على المسرح. غير أن مكرم أبدى تفوقا واضحا في ابداء دوره وجعله يطغى على الشخصية تماما. ويبقى هنا لا بد من لفت نظره الى ضرورة التدرب أكثر على ضرب السوط والسكين. أما سلوى فيجدر لفت نظرها الى ضرورة التدرب أكثر على النطق السليم لحروف اللغة العربية. اذ أن اللهجة العامية الحيفاوية لا تزال تتغلب على اللغة الفصحى لديها.

وختاما .. لقد شاهدنا عملا فنيا جديدا يستحق التقدير، غير أننا في كل الاحوال نعتقد أننا لا نحتاج الى "أي" جديد كان، بل الى الجديد الافضل. ونعتقد أن رياض ورفاقه الذين عملوا معه في "الصوت الغجري" قادرون على ذلك. فالى الامام.

### جبران في عمل مسرحي ليعقوب الشدراوي

بمناسبة خمسينية وفاة جبران خليل جبران، يعمل المسرحي اللبناني يعقوب الشدراوي على وضع مسرحية تتناول جبران من مختلف جوانب حياته وأدبه وفنه وفكره مستندا في ذلك الى مراجع تناولت جبران والى مؤلفات جبران نفسه. في هذه المسرحية يحاول الشدراوي قراءة جبران قراءة جديدة مسلطا الضوء على بعض المسائل الاساسية التي تتعلق بنتاج جبران وباعماله وبحياته. والشدراوي من أهم المسرحيين اللبنانيين والعرب الذين عالجوا النصوص الادبية وحياة الادباء معالجة مسرحية وقد نفذ في هذا المجال أعمالا مثل: موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح [illegible] العنوان الآتي للمسرحية هذا هو



# كيف تمارس المرأة حقوقها في ظل النظام الاشتراكي

بقلم: مها خوري - عكا

ترى الاشتراكية في الانسان انه اثمن ما في الوجود. لذلك فهي تسعى الى خلق ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية لتحريره ولتوفير حاجاته ومتطلباته المادية والروحية، التي بدونها لا يمكن له ان يعيش متمتعا بكامل حقوقه. فالاشتراكية تسعى لان توفر كل ما حلم به الانسان على مر العصور من مساواة وعدالة اجتماعية. فهي تضمن احترام حقوق وحريات الانسان. وتعترف بقيمته في المجتمع وتوفّر له الممكنات لان يتطور ذاتيا ضمن المجموعة الانسانية. وذلك عن طريق رفض كل اشكال الاستغلال الطبقي والاضطهاد والقهر والتمييز.

وقد اكتشف آباء الاشتراكية دوافع الاستغلال في المجتمعات الطبقية، وراوا ان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج تضطر الانسان المعدم لان يبيع قوة عمله ليحصل على قوته. لظهور الملكية الخاصة للارض ووسائل الانتاج ادّى إلى وجود الطبقات المستغِلة والمستغَلة. وادّى لان يتاجر الراسمالي في قوة عمل الانسان وطاقاته سعيا وراء الارباح. لذلك اشترطت الاشتراكية لبناء مجتمع عادل، يقدّر ويحترم الانسان وطاقاته، القضاء على الملكية الخاصة وتحويلها الى ملكية عامة للشعب بجميع فئاته عن طريق مصادرة المصانع والبنوك والسكك الحديدية الخ.. وتسليمها للعمال، ومصادرة الاراضي وتحويلها للفلاحين الذين يزرعونها. وقد مارست السلطة الاشتراكية هذا النهج في جميع الاقطار التي انتصرت فيها. وكتب لينين بعد انتصار الاشتراكية لاول مرّة في التاريخ في روسيا القيصرية..

" ان جوهر السلطة السوفياتية انما ينحصر في حصر كل سلطة الدولة في ايدى الجماهير الكادحة والمستثمرة. الى جانب فضح كذب الدمقراطية البرجوازية ونفاقها والغاء الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع. ان هذه الجماهير بالذات تاخذ بيدها السياسة اى مهمة بناء مجتمع جديد". (١)

وراى لينين ان بناء الاشتراكية والاقتصاد الاشتراكي هو مهمة كل فرد في المجتمع بغض النظر عن كونه رجلا ام امراة، حزبيا او غير حزبي. "... ان السلطة السوفياتية ...، تبذل جهودها لكي يشترك في هذا البناء الاقتصادي جميع العمال، لا الحزبيون منهم وحسب، بل اللاحزبيون ايضا، لا الرجال وحسب، بل النساء ايضا. وهذه القضية التي بدات السلطة السوفياتية بتحقيقها لا يمكن دفعها الى امام الا متى اشتركت فيها ملايين وملايين النساء. وآنذاك ستكون قضية البناء الاشتراكي راسخة، ثابتة ونحن على ثقة بهذا" (٢)

وهكذا اكد لينين انه لا يمكن بناء الاشتراكية بدون مساهمة جميع فئات الشعب. والشرط الاساسي لمساهمة هذه الفئات هو تحريرها اولا من التمييز والاضطهاد الواقع عليها واعطاءها حق التمتع بالمساواة التامة لذلك فقد سعت السلطة السوفياتية الفتية الى تحرير القوميات التي اضطهدها نظام القيصر، واعطائها حق تقرير المصير. وانطلاقا من هذا اعطاء المراة حق التمتع في المساواة التامة مع الرجل في جميع مجالات الحياة.

لقد رات الاشتراكية مهمة تحرير المراة احدى مهماتها الفورية والضرورية من اجل بناء مجتمع تسوده المساواة.

واشار لينين الى الخطوة الهامة الثانية التي على النظام الاشتراكي ان يخطوها بعد الغاء الملكية الخاصة بهدف القضاء على التمييز ضد المراة ولجذبها لحقل العمل وهي الغاء اللامساواة الحقوقية للمراة "..لم يبق اى اثر للامساواة الحقوقية بين النساء والرجال، فقد الغت السلطة السوفياتية

تماما اللامساواة الكريهة الحقيرة المرائية جدا فيما يتعلق بحقوق الزواج والعائلة، اللامساواة فيما يتعلق بالاولاد "(٣) "..فمن تلك القوانين التي فرضت على المراة حالة الخضوع، لم يبق في الجمهورية السوفياتية حجر على حجر. واني اقصد على وجه الدقة تلك القوانين التي استغلت خصيصا ضعف المراة ففرضت عليها اللامساواة بل فرضت عليها احيانا كثيرة حالة الاذلال "(٤)

لكن النظام الاشتراكي لا يكتفي بالغاء القوانين التي تثبت التمييز ضد المراة ويسن قوانين تقدمية تضمن للمراة حقوقها، فهذه العملية ما هي الا البداية. فعلى الدولة أن تتبنى تطبيق هذه القوانين عمليا. وينبغي ان توفر الاقتصاد الاجتماعي العام والظروف المطلوبة لكي تتمكن من جذب نصف المجتمع الى العمل الانتاجي العام وان تحاول التخفيف من عبء المراة في المنزل. هذا العبء الذي يقيدها ويجعلها تعمل يوم عمل اضافي داخل المنزل، بالاضافة الى يوم العمل خارجه. ويصف لينين هذا العمل المنزلي بانه "في اغلبية الحالات اقل الاعمال التي تقوم بها المراة انتاجية، واكثرها وحشية واشدها وطأة وارهاقا. وهذا العمل في منتهى الحقارة والصغر ولا ينطوي على اي شيء من شانه أن يسهم بقدر من تطوير المراة". (٥)

لم يقصد لينين أن يلغي العمل البيتي بهذه الكلمات انما كان يدين ما كان سائدا في روسيا القيصرية ويهاجم نظرة المجتمع الطبقي الرجعي الى دور المراة الاجتماعي. .ولا جدال في انه كان يخاطب نظرة الرجال الاستغلالية من ناحية ويستنفر تمرّد المراة على اوضاعها المزرية من ناحية اخرى.



ويتم التخفيف من عبء المراة هذا عن طريق انشاء مؤسسات نموذجية كمطاعم شعبية ودور حضانة من شانها أن تحرر المراة من الاقتصاد المنزلي وكثير من المؤسسات الاخرى التي من شانها أن تساعدها على التخلص من وضعها كعبدة بيتية، وأن تشرف المراة بنفسها على هذه المؤسسات وتعتني بتطويرها. ولا ننسى أهمية تثقيف الرجل على التعاون والمسؤولية المشتركة تجاه الاسرة والمنزل.

وهناك اهمية خاصة لجذب المراة ليس الى ميدان العمل وحسب بل الى الميدان السياسي ومشاركتها بشكل مباشر بكل ما له صلة مباشرة بمصير العمال والفلاحين. اذ من المستحيل اجتذاب الجماهير الى السياسة دون اجتذاب المراة اليها، واتساع المجال في الدول الاشتراكية امام النساء العاملات للقيام بنشاط سياسي يكون قوامه أن تساعد المراة الرجل بمهارتها التنظيمية.

اذن، فالخبرة التاريخية في بناء الاشتراكية تثبت أن مساواة المراة الحقيقية في المجتمع لا يمكن أن تتحقق الا اذا كانت سياسة الدولة تجاهها تؤلف جزءا أساسيا من السياسة الاقتصادية والاجتماعية العامة.

وسجّل الدستور السوفياتي الاول هذه الحقيقة كما اغناها واكدها الدستور الاخير عام ١٩٧٧ فقد جاء في المادة ٣٥ : "أن المراة والرجل يتمتعان في الاتحاد السوفياتي بحقوق متساوية. ويضمن ممارسة هذه الحقوق منح النساء فرصا متكافئة لفرص الرجال في الحصول على التعليم والاعداد المهني وفي العمل واجوره والترقية في العمل وفي النشاط الاجتماعي والسياسي والثقافي. وكذلك تضمنها تدابير خاصة لحماية عمل النساء وصحتهن، وتوفير الظروف التي تتيح



لهن الجمع بين العمل والامومة، وحماية الامومة والطفولة قانونيا ودعمها ماديا ومعنويا، بما في ذلك منح اجازات مدفوعة الاجر للحوامل والامهات وغير ذلك من التسهيلات. والتخفيض التدريجي لوقت عمل النساء ممن لديهن أطفال صغار".

كذلك سجلت هذه الحقوق في دساتير الدول الاشتراكية الاخرى. وهذا ما نراه ساريا في هذه الاقطار. لذلك اصبحت المرأة جزءا لا يتجزأ من القوى المنتجة في النظام الاشتراكي، فبدونها لا يمكن تسيير الاقتصاد الوطني في هذه الاقطار.

ان مساهمة النساء تتنامى في الانتاج وفي الفروع الصناعية ذات التقنية العالية التي تتطلب مهارات خاصة كبناء المكائن وهندستها. ففي هنغاريا مثلا تمثل المرأة حوالي ٤٥ ٪ من العمال والكادر التقني في هذه الفروع الصناعية، وفي بلغاريا فان نسبتهن تبلغ ٤٩ ٪ وفي منغوليا ٥٥ ٪ وفي رومانيا فان ٢٥ ٪ من النساء العاملات يعملن في حقل بناء المكائن والصناعات الكيماوية وهي من أكثر فروع الصناعة تطورا في رومانيا. وهذه الاحصائيات تثبت أن امكانات التعليم والتدريب المتاحة للمرأة في هذه الاقطار هي مساوية للامكانات المتاحة للرجل.



فارتفاع عدد العاملات ظاهرة مميزة للتطور في البلدان الاشتراكية. ففي الاتحاد السوفياتي تعمل أو تتلقى تدريبا مهنيا ٩٠ ٪ من النساء في سن العمل، وفي المانيا الدمقراطية يصل هذا الرقم الى ٨٧٫٦ ٪ وفي منغوليا ٨٧٫٣ ٪ وفي هنغاريا ٧٥ ٪ وفي تشيكوسلوفاكيا ٨٠ ٪ وفي كوبا حيث كانت مساهمة النساء بالمقارنة مع عدد العمال عام ١٩٥٣، لا تزيد على ٩٫٨ ٪ فقط اصبح عددهن ٢٠٫٧ ٪ من مجموع العاملين في البلاد.

ان هدف الدول الاشتراكية العام والمشترك هو اعداد نساء متعلمات ومدربات تعليما وتدريبا عاليا وذلك للمساهمة في تربية اجيال المستقبل وفي بناء اقتصاد وطني متطور. ولهذا فليس هنالك اي قيود امام تعليم المرأة. بل على العكس توفر الظروف التي تمكّن النساء من مواصلة تعليمهن بدون القاء المزيد من الاعباء عليهن. وهذا يعني كذلك أن الامهات اللاتي لهن واجبات عائلية يمكن ادراجهن في العملية التربوية والتعليمية. ولهذا الغرض فانهن يتمتعن باجازة دراسية اضافية، كجزء من وقت العمل، وبالمنحة الدراسية وبغير ذلك من التسهيلات. ويجدر الاشارة أيضا الى انه في بلغاريا مثلا تشكّل النساء حوالي ٥٠ ٪ من عدد الطلبة في كل المؤسسات التعليمية، وفي بولونيا ٧٣ ٪ من مجموع الطلبة في الكليات التربوية و ٦٥ ٪ من مجموع الطلبة في الكليات الاقتصادية و ٦٤ ٪ في

الكليات الطبية. اما في جمهورية المانيا الدمقراطية فان ٩٨ ٪ من الفتيات يتعلمن مهنة بعد انتهاء المدرسة و ٥٩ ٪ من الخبراء حاملي الشهادات الجامعية او شهادات مدارس مهنية في الاتحاد السوفييتي هم من النساء. وجدير بالذكر ان الاتحاد السوفييتي يحتل المرتبة الاولى في العالم في نسبة النساء من بين مجموع عدد الخبراء.

طبعا توفر الدولة الاشتراكية الظروف لتمكن المراة من الوصول الى هذا المستوى من التعليم والى هذه الدرجة من المساهمة الفعالة في بناء نظامها الاشتراكي. وذلك بتطبيقها بنود الدستور المتعلقة بالمساواة والامتيازات التي اشرنا الى اهمها اعلاه. فدساتير الدول الاشتراكية تؤمن للمراة الحامل اجازة ثابتة مدفوعة الاجر للولادة والرضاعة. ففي الاتحاد السوفياتي تمنح الحامل اربعة اشهر مدفوعة كامل الاجر. واجازة سنوية مدفوعة الاجر جزئيا مع حفظ مكان العمل. وتتاح للنساء اللواتي لديهن اطفال امكانات اوسع للعمل يوم او اسبوع عمل قصير. وفي هنغاريا من حق كل امراة عاملة ان تبقى في البيت وتعتني بطفلها حتى يبلغ سن الثالثة من العمر مع حفظ مكان عملها، هذا بالاضافة الى خمسة اشهر اجازة حمل ورضاعة مدفوعة الاجر.

وتحظر القوانين في جميع الدول الاشتراكية طرد المراة من العمل خلال فترة الحمل. بل على العكس تؤمن لهن حق الحصول على رعاية وحماية خاصة خلال هذه الفترة. فلا يسمح لها بمزاولة اعمال ثقيلة، دون ان يقلل ذلك من اجرها. وفي عدد من هذه الاقطار تم اقامة اماكن عمل خاصة بالنساء الحوامل كي يزاولن اعمالا بسيطة.

لقد راينا ان الدولة الاشتراكية تاخذ على عاتقها مهمة حماية الام والطفل لانها تعتبر الامومة مهمة اجتماعية عامة وعلى الدولة المساهمة بجزء كبير منها كما عليها المساهمة في تربية الطفل للتخفيف من هذا العبء عن المراة. وذلك عن طريق توفير مؤسسات لرعاية الاطفال. فدور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس حيث يمضي الاطفال خمسة ايام في الاسبوع والمخيمات الصيفية ومدارس اليوم الكامل، وشبكة دور الاستجمام والرياضة التي توفرها الدولة تقدم مساعدة كبيرة للامهات العاملات،تعد من اهم العوامل التي تساهم في نشاة الاطفال وفي تعليمهم بشكل صحي. ومن جهة اخرى تعطي الامكانية للمراة لان تعمل خارج منزلها وتنتزعها من العبودية البيتية.

وهام جدا ان نذكر الدور التمثيلي الذى تقوم به المراة في الاقطار الاشتراكية في المجال السياسي. فمجلس السوفيات الاعلى في الاتحاد السوفياتي يضم ٤٨٧ امراة سوفييتية، اى اكثر مما تضمه جميع برلمانات الدول الغربية سوية. وهذا العدد يشكل ثلث مجموع الاعضاء. وفي مجلس الممثلين الاعلى في جمهورية بولونيا الشعبية تشكل النساء نسبة ٢١،٥٪ من مجموع الاعضاء. وفي جمهورية المانيا الدمقراطية تشكل النساء في مجلس الشعب الاعلى نسبة ٣٢،٦ ٪ و٢٧،٩ ٪ من برلمانات المحافظات وفي جمهورية منغوليا الشعبية تشكل المراة ٢٣ ٪ من اعضاء "هورال الشعب الاعلى" - البرلمان.

لا نستطيع القول ان النظام الاشتراكي قد نجح كليا في جذب المراة الى الميدان السياسي وبالمستوى نفسه الذى نجح فيه بجذبها الى الميادين الاخرى. ولكن كما جاء في مقدمة كتيب "مئة سنة على صدور كتاب بيبل: "الاشتراكية والمراة" ان قضية المراة في الاقطار الاشتراكية لم تعد قضية استخدامها او عدم استخدامها، فهذا الامر سوي في مصلحة استخدام المراة انما المهم اليوم هو تحسين الشروط المادية والمعنوية بحيث تمكن المراة من التحكم في مهمات حياتها المهنية والعائلية وتخلق الاوضاع التي تساعدها على ممارسة مواهبها وقدراتها على اكمل وجه مما يقودها الى الحياة المثمرة، وفي الوقت نفسه يترك لها وقتا كافيا للتمتع في اوقات فراغها، وهذا يفسّر تاكيد لينين ان النضال من اجل تحرير المراة ومساواتها التامة في جميع المجالات سينتهي بانتصار الشيوعية التام.×

---

١) مجموعة مجلدات لينين. مجلد ٤٢ ص ٣٦٨

٢)مجلد رقم ٢٩، ص ٢٠٤ - ٢٠٥

٣) المجلد رقم ٤٢، ص ٢٦٩

٤) المجلد رقم ٢٩، ص ٢٠١

٥) مجلد ٢٩

×مجلد ٤٠، ص ١٩٣

---

الاحصائيات عن مجلة "نساء العالم".

تتمة دراسة اميل توما.

او تمكن نابليون من مواصلة زحفه على سائر الاقاليم السورية.

● اخفق نابليون في محاولته احتلال عكا على الرغم من استمراره في محاصرتها ستين يوما وذلك لاستبسال حماتها في الدفاع عنها اولا ولمساندة الاسطول البريطاني بقيادة سدني سميث لها ثانيا. وحسب التقارير قامت مدفعية الاسطول البريطاني بدور هام، ان لم يكن حاسما في احباط هجمات الجيش الفرنسي.

ولعل من اسباب هذا الفشل، كما يذكر بعض المؤرخين تهور نابليون وثقته بنفسه مما جعله يستهتر بالقوات التي تجابهه في عكا.

ولا ندري مدى صدق تقويم جنرال نابليون الفذ ونائبه كليبر الذي يروى قوله: "هاجمنا عكا على الطريقة التركية بينما كان الدفاع عنها على الطريقة الفرنسية" (المصدر اعلاه ص ٣١٦).

وهناك اتفاق بين الكتّاب على ان اعداء الثورة الفرنسية من الفرنسيين المهاجرين ساعدوا المدافعين عن عكا. وذكر لوتسكي في هذا الصدد: "كما اسهم في الدفاع عن عكا بصورة فعّالة المهاجرون الفرنسيون الذين كانوا في خدمة الجزار والوحدات النظامية الاولى من جيش سليم الثالث" (كتابه المذكور اعلاه ص ٥٢).

. وتوحي بعض المعطيات ان عددا من امراء سوريا وبخاصة في جبل لبنان كانوا ينتظرون سقوط الجزار لينضموا الى نابليون ويتخلصوا من السلطنة العثمانية وولاتها المستبدين.

. وظهرت طبيعة القوات المرتزقة في المنطقة وتذبذبها.. فعدد من المماليك المصريين استسلموا لنابليون خلال احتلاله العريش فارسلهم الى مصر.. وفرقة من الجنود المغاربة بلغ عددهم ثلاثمائة جندى انضموا اليه وحاربوا معه.

والمهم عند تلخيص الحملة ان نقرر ان هذه الحملة فشلت عسكريا بسبب نجاح حصار الاسطول البريطاني على موانئ مصر ومنع دخول الامدادات العسكرية والمؤن الى قوات نابليون الشرقية.. وبسبب صمود حماة عكا ومساندة ذلك الاسطول المحاصر لهم.. ولا نستبعد ان الطاعون الذى تفشى بين الجنود الفرنسيين في مشارف عكا اسهم في اسراع نابليون في التراجع.

وفي حين اسهمت حملة نابليون على مصر في اضعاف النظام الاقطاعي وسلطة المماليك.. وفي اشاعة الافكار البرجوازية الدمقراطية.. وتنمية البذور القومية التي بذرتها التطورات. لم تؤثر الحملة على الشام في حياة المساحة الفلسطينية بل وطدت سلطة الجزار، وكما قدّر فيليب حتي في كتابه تاريخ سورية ولبنان وفلسطين: "بلغ الجزار اوج مجده سنة ١٧٧٩ على اثر فوزه بايقاف زحف نابليون" (ص ٢٣٨ الجزء الثاني).

وتأثيرها الوحيد الاني لا البعيد المدى تجسم في انها تركت وراءها دمارا في العمران، نتيجة المعارك التي وقعت في مدنها وبخاصة في يافا.. وفي انها اسهمت في افقار الاهالي، فالغزاة صادروا الجمال والحمير يستخدموها في نقل اعتدتهم كما صادروا المؤن من المدن والقرى لسد حاجاتهم الحياتية..

في احدى بيانات نابليون في مصر جاء ان هدف الحملة الفرنسية هو خلق الظروف بالقضاء على المماليك "لتكمل زراعتها (زراعة مصر – ا.ت.) الفاخرة، وانواع تجارتها الباهرة ويحدث فيها.. التحف من انواع الخزف والصنائع النفيسة ويجدد فيها ما اندثر من صنائع الحكام والاولين ويرتاح في دولته كل الفقراء والمساكين".

ولكن ما حصل في فلسطين في اثناء الحملة، التي لم تمتد اكثر من اربعة اشهر، كان العكس.

## تقويم مرحلة الجزار

يتفق اكثر المؤرخين بان فترة حكم الجزار كانت احلك صفحة في تاريخ فلسطين وحتى تاريخ سوريا الطبيعية في العهد العثماني..

ويلاحظ اولئك الذين فصّلوا تاريخه انه استخدم السخرة في سبيل تحصين عكا واقامة المباني العمرانية وابرزها واكثرها جمالا جامع الجزار في عاصمته ولا يزال قائما حتى اليوم.

ويضيفون انه استطاع باحتكار بعض المرافق التجارية في منطقته ان يغطي جميع النفقات الضرورية وان يعيش برغد ورفاهية (كتاب فيليب حتي المذكور ص ٢٣٨).

ولا جدال في ان الجزار كثف نهب الاهلين بل بلغ هذا النهب ذروته في عهده، "فلزيادة الضريبة المقدمة للسلطان فرض الجزار ضرائب جديدة على الطواحين

وقطعان المواشي ودور الحرير، وضرائب جديدة على الراس... وفي سنة ١٧٨٩ ضوعفت الضريبة التي كان على منطقة حكم الجزار دفعها الى استنبول". (الشرق العربي، آمرون كوهين، ص ٣٢٤).

ويظهر من المعطيات أن الجزار تابع التطور الذى بدا به ظاهر العمر وركز جهوده في منطقة عكا (سهل عكا) عاصمته حيث زاد عدد القرى.. وعدد المطاحن.

ولكنه، بسياسته الظالمة، سبب دمار بعض القرى. وتشير الاحصاءات الى أن عدد القرى، مثلاً، في نهاية القرن الثامن عشر كانت ١٥ قرية في منطقة صفد – الرامة بينما كان عددها في القرن السادس عشر ٢٥ قرية.. واما في منطقة سهل عكا وحيفا والناصرة (وتشمل المكر في الجليل وشفاعمرو) فقد تقلص عدد القرى من ٦٠ قرية في القرن السادس عشر الى ١٩ قرية في نهاية القرن الثامن عشر (كتاب فلسطين في القرن الثامن عشر، امنون كوهين، ص ١٢٦).. ومن المؤكد أن عملية تدمير القرى او الهجرة منها كانت متواصلة منذ الاحتلال العثماني بسبب النهب (الداخلي) والصراعات بين الاقطاعيين وغزو القبائل.. وقد تسارعت في بعض الاقاليم في عهد الجزار بعد أن توقفت في عهد ظاهر.

ومن ابرز مظاهر هذه الفترة تقليص تجارة فلسطين مع اوروبا تلك التجارة التي ازدهرت في عهد ظاهر العمر وانعشت الزراعة الى حد كبير وبخاصة زراعة القطن.

وبداهة ان تزداد الانفجارات الشعبية في عهد الجزار وان يشارك فيها جميع فئات الشعب في المدينة والقرية.. ومن ابرز هذه الانفجارات ثورات الفلاحين في منطقة نابلس وثورة الحرفيين والتجار في مدينة دمشق (١٧٨٩).. وغزوات القبائل في الجليل وسائر مناطق فلسطين.

ومن معالم فترة الجزار محاصرة أمراء جبل لبنان الاقطاعيين في منطقتهم وابعادهم عن الاحداث في فلسطين. وهذه العملية بداها واتمها ظاهر العمر فقبل ذلك كان نفوذ هؤلاء الامراء يمتد الى الجليل.. وذكرنا في الفصل السابق ان احد هؤلاء الامراء، بشير الشهابي (الاول)، هو الذى عيّن والد ظاهر العمر عمر الزيداني لجباة الضرائب في صفد في عام ١٦٩٨.

واذا كان الجزار قد قام بدور ما في جبل لبنان فدوره كان في تفجير الصراع الاقطاعي وتشجيعه بحيث ادّى الى وقوع الجرائم المأساوية في العائلة الواحدة.

ومن نتائج هذا التطاحن المهولة أن الامير يوسف الشهابي سمل عيني اخيه سيد احمد واغتال اخاه الثاني الافندى. وعلى الرغم من ذلك لم يوطد حكمه فقد عزله الجزار وحين لجا اليه لاسترحامه شنقه فورا..

والجزار هو الذى ساند الامير بشير الشهابي الثاني في ١٧٩٠ وفرض حكمه على الجبل ولكنه عاد وعزله وطارده مدة سنتين ثم وافق على عودته وبذلك خلق الظروف ليرتكب هذا الامير الجرائم بحق افراد عائلته فقد قتل ابناء الامير يوسف كما قتل باعنف الوسائل مربيهم برجس باز. (العاميات الشعبية في لبنان، يوسف خطار الحلو، دار الفارابي، ص ٢٨)

اذن لا خلاف في أن صفحة الجزار كانت صفحة مظلمة حالكة في تاريخ سوريا الطبيعية وتشمل فلسطين.

واهم معالم هذه الصفحة أن جماهير الفلاحين والحرفيين قاسوا الامرين من ارهاقه ووحشيته.

ولكن لا بد من رواية معلم آخر ففي سبيل تحقيق مطامعه واشباع جشعه وشهواته.. وفي سبيل الفوز ببركة الباب العالي انزل ضربات شديدة بالاقطاعيين والمشايخ في فلسطين وجنوب لبنان..

ونقول انزل ضربات شديدة بتحفظ. فقد عاد المشايخ الذين بدد شملهم في منطقة المتاولة بلاد بشارة وشقيف وغيرها في جنوب لبنان عادوا الى كثير من مواقعهم بعد وفاته في عام ١٨٠٤.. وفي بعض القرى الفلسطينية اعاد المشايخ المحليين الذين قضى ظاهر العمر على نفوذهم..

الا ان عهده كان خطوة نحو المركزية التي نجحت في فرض السلطنة العثمانية الى حد كبير بعد حملة ابراهيم باشا في سوريا في النصف الاول من القرن التاسع عشر.. وهذا هو موضوعنا في العدد القادم..



# الخروج من الجاذبية الارضية

## سلمان مصالحة - القدس

وحين يغنّي الشتاء
تهاجر بعض الطيور من الخارطة
ويصمت ضوء الزوايا
لتحكي الصور
لديّ حكايا .. عن العاصفة
أقول لكم تشيخ المدينة
رويدا
رويدا
تطير عن الارض والجاذبية
هناك تنام على المفترق
فبين الخليل وبحر الممات
تشيخ المدينة
وما زال لون الشباب
يعشّش فيها

وتمضي السنون
يفرّ من الرق رف سنونو
يحطّ على لافتات الطرق
يغيب السنونو مع اللافتات
ويبقى الضباع
يرفرف في الطرق المعتمة

تقول المدينة
نسيت وجودي على المنحدر
فبين الخليل وبحر الممات
يعيش السنونو مع العاصفة
يحطّ على الشجر المنحني

أمام الكنائس
أمام المساجد والصلوات
ويسلح فوق الشوارع - .والمركبات
ويعد عناء
رويدا
رويدا
يطير مع القدس نحو السماء
وتبقى المدينة ليس سنونو
وليس رواء
يخيّم فوق السطوح ظلام
يضيء عواء
ويعوي الشتاء بعز الظهيرة
وشارع يافا
يصافح باب الخليل
ويسمع نصف حديث
عن الحيّ كيف ينام
عن القمح فوق البيادر
ويعقد خلف الصخور اجتماعه
مع اللافتة
فتجر يافا وراء البحار
لتصبح شارع
وكنتك فلافل
لماذا ؟
لماذا تثور علىّ السنابل ؟
تسير الشوارع نحني
ويقفز بار من الزاوية
يقهقه بين اللظى والخمور

ويطلق في الطاولات عيونه
سألت صديقي
لماذا يعزّ عليك الرجوع
لماذا ؟
يصحّ الهوى في العيون
لماذا نسيت صباك
ويممت وجهك نحو الجنوب
لماذا قتلت هواك
ونبض الحبوب
لماذا ؟
رميت هناك الصبية
يردّ صديقي :
نسيت هناك الطفولة
وحبّ الشباب
خسرت حواسي .. وبعض هواي
لانك أنت سفكت دمائي
لانك دست الثرى في سمائي
وأعلنت جرحك فوق الجراح
ويستفسرون الشجون
فيستحضرون الهوية
ولم يبق غير الرجوع الى نفسه
الهاوية
وتبقى العيون على الطاولة
وتومئ لي الكأس أتبعها
بعبق الزبيب
وصوت التباح
فأحمل بعض السلال

وأرحل في البادية
أقبّل وجه الرمال
وألقي قصيدة
وأطلق رجليّ في غربتي
والفلا
تذوب الشموع مع البسمات
يفرّ عناق من الطاولة
ويخرج ملتحفا بالظلام
ويخرج
مختفيا في المدينة
رأيت العيون تغيب وراءه
تموت فداءه
فأقفل في الخمر فواهي
وأسمع صوت بكائه
رويدا .. رويدا
تقوم المدينة تحت حذائي
وتبحر في سفن الليل دون شراع
تدبّ على العالم المختفي بالفراش
الوفير
هناك
تحدّث حزني نهود الصبايا
صدور النساء
نداء الليالي تعانقني
وتشرح لي الشهوة الجامحة
وشيئا بهذا القبيل

وظل يغادرني غربتي
تغادر خلفي نتوء القبلة
بعد الرحيل
وتفتح خلف الليالي جديلة
فأملك نفط الجزيرة
ويرتشف الجند نفطي
أمامي
بنشوة نصر
وأرشف نصف حذائي
وكعب الظهيرة
فأعلن حربا عليهم
وانظر شزرا اليهم
وتحكي المدينة
رويدا .. رويدا
تصير عناق الشوارع
وتفلت قبلة
تعض على شفتيها
وتحضن شارع وكشك فلافل
تصير عيونا هي البحر
بحر المدينة
تطير عن البحر والجاذبية

رويدا
رويدا
تصير صبية
أتت من بلاد بعيدة
تحب النبيذ المعتّق
كلون الشفق
تغيب الحدود عن الاغنيات
يغيب الرحيل
وتبقى المدينة
سريرا قديما على الزاوية
وأحلام حب .. ورجع بفيق
عيون أتت من بلاد بعيدة
وتخطو الزجاجة فوق الجريدة
ولون الشراع
يشعّ على الكتب .. والطاولة
وتبقى المدينة
أميرة تختفي في الجدار
ورائحة عاشقة
تهزّ سريري تقول الوسادة
وصلت من الحب حد العبادة .

## كفاح عرب فلسطين
### لأبي سلمى




واصلت دار الاسوار نشر نتاج شاعر فلسطين الكبير، زيتونة فلسطين فاصدرت كتابه "كفاح عرب فلسطين" ، ويقع في ١٠٥ صفحات من الحجم المتوسط.

والكتاب رحلة سريعة عبر تاريخ فلسطين المعاصر منذ الاحتلال البريطاني حتى حرب فلسطين التي وقعت بعد قرار التقسيم ..

وقد سجل ابو سلمى الاحداث بصورة ومضات خاطفة .. كما الحق بهذه المرحلة سير حياة بعض ابطال الكفاح الوطني امثال عز الدين القسام شيخ المجاهدين .. وعبد القادر الحسيني شهيد معركة القسطل وعبد الرحيم محمود الشاعر الفارس.

## كان الموت ونحن على ميعاد و السجين
### جمال بنوره

واصدرت هذه الدار هاتين المسرحيتين بقلم الاديب جمال بنوره ، وهو من بين ادباء الضفة المحتلة الذين برزوا في السنوات الاخيرة .




والمسرحيتان تقعان في ٩٢ صفحة من الحجم الصغير وتتمحوران حول معاناة المناضلين الفلسطينيين خلال مكافحتهم الاحتلال (المسرحية الاولى وتدور احداثها في موقع عسكري متقدم في جبل لبنان) ووقوعهم في الاسر (السجين وتدور وقائعها في احدى غرف التحقيق) .

وقد أصبح هذا اللون من النتاج الادبي شائعا فهو انعكاس للواقع المر الذي يعيش في دوامته الشعب العربي الفلسطيني .

# رسومات على الثلج

كمال جبران

هذه هي المجموعة القصصية الاولى بقلم كمال جبران التي تنشرها الاسوار.

وتضم تسع قصص قصيرة وتقع في ٧٤ صفحة من الحجم الصغير.

والقصص كما توحي اسماء اكثرها مثل "لقد كنا من هنا" و "احتلال قرية" تدور حوادثها في اسرائيل والمناطق العربية المحتلة وتصوّر ذيول سياسة الاضطهاد القومي والقمع.

ومنها ما اهداه كمال جبران الى المناضلين واحدها "ذكرى اخ" اهداها لجمال موسى سكرتير الحزب في منطقة عكا.

# منشورات صلاح الدين القدس

## البدايات

د. يعقوب الزيادين




واحسنت منشورات صلاح الدين في نشر هذا الكتاب الذى صدر في الاصل في الخارج، لان صاحبه المناضل يعقوب زيادين من ابرز الوطنيين في الاردن الذين اشقاهم كفاحهم العنيد وصمدوا بصلابة امام الطاغوت.

والكتاب يقع في ١٧٩ صفحة من القطع الصغير، يروى تجربة الدكتور زيادين الذاتية خلال اربعين سنة امضاها في الحركة الوطنية الاردنية وجزء طويل منها في السجن بآلامه وشقائه حتى افقدته مقومات مهنة الطب فكان عليه ان يتعلمها من جديد ليحسن ممارستها.

ونوافق مع الكاتب محمد شقير الذى قدّم لهذه السيرة، فاكد أهمية مجموعة كتب السيرة الذاتية التي وضعها مناضلون ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية، وابرز ميزة سيرة الدكتور زيادين بقوله: "انه المحاولة الجادة الاولى لرصد بدايات تشكل الفكر الماركسي في مجتمع قبلي متخلف، كانت تعيشه امارة شرق الاردن قبل اكثر من اربعين سنة. ويعتبر هذا الكتاب وثيقة من اهم وثائق التاريخ الوطني المعاصر في الاردن من خلال سيرة ذاتية لمناضل حرق معظم سني عمره في المعتقلات والنضالات وعبر عنها بساطة في سرد الاحداث وسلاسة في روايتها.."

# الجوع والجبل

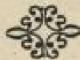
رياض بيدس

* واصدرت الدار نفسها هذه المجموعة القصصية الاولى بقلم رياض بيدس وتقع في ١٥٢ صفحة من القطع الصغير.

وتشمل هذه المجموعة ١٤ قصة قصيرة نشر صاحبها عددا منها في "الاتحاد".

وقد كتب الكاتب هذه القصص في سنين ١٩٧٩ و ١٩٨٠ ولذلك اتسمت بعض ملامحها في احداث هذه الفترة التي عصفت في البلاد وتركت ذيول في حياة الجماهير العربية في اسرائيل.

ويبدو الكاتب في هذه المجموعة ملتزما وواقعيا ومع هذا تحتاج كتاباته الى الصقل وتطوير الدرامية.



# سنوات ثلاث

بقلم علاء الدين بدريه - دالية الكرمل

وكانت توتة . . .
واطفال صغار . . .
وجدّك خلف الدار . . .
يزرع الزيتون . . .
وعمره سبعون . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكانت توتة . . .
ورجال كبار . . .
وجدّك تحت الزيتونة . . .
كومة احجار . . .
وظل غصن حزين . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكانت اعوام . . .
وسنين عشرين . . .
وطفوله . . .
لا تعرف . . .
سوى غربلة . . .
دموع وتراب . . .
والضحكة . . .
اصبحت . . .
سراب . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكانت توتة . . .
واطفال صغار . . .
وقمر . . .
وسنون عشرون . . .

وقلعوا الزيتون . . .
وزرعوا قنابل . . .
في الارض . . .
في القلوب . . .
وسورا من الاشواك . . .
بمنتصف الطريق . . .
. . . .
. . . .
. . . .
يا ولدي . . .
يحكون . . .
كانت توتة . . .
واطفال صغار . . .
وجاء في الظلمة ذئب . . .
سرق الاطفال . . .
واخذ . . .
عشرين عاما وكمشة آمال . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكانت توتة . . .
وسنين ثلاث . . .
مرت . . .
وعاد الاطفال . . .
اصناما . . .
والجو مغبر . . .
والتراب معفر . . .
بالدماء . . .
. . . .
. . . .
. . . .

وكانت توتة . . .
واصنام . . . وزيتون . . .
وذئاب . . .
يقولون . . . انهم يقتلون . . .
العقول والضمير . . .
ويجعلون الطفل امير . . .
وتمثالا جميل . . . في . . .
ثلاث سنين . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكانت توتة . . .
واطفال صغار . . .
وظهر منحن . . .
طوته الايام . . .
وجدّك يحمل فأسا . . .
وكأس احزان . . .
وسلاسل ذهبية . . .
وقمرا . . .
واصناما وتراب . . .
. . . .
. . . .
. . . .
وكان ربيع . . .
وعصافير تغني . . .
من خلف الاسوار . . .
وتردد الآفاق . . .
الحان القتلة . . .
وتوتة عارية . . .
من الاوراق . . .

# أمل

## اقصوصة
## عدنان عباس



هذه الاقصوصة كتبها عامل من أم الفحم . أحداثها من واقع العمال العرب الذين أصبحت تميّز حياتهم بعض الرموز مثل : تندر البيجو ، المقاول الملف ، حاجز حرس الحدود ، الغضب ثم الهدوء ، الامل بعودة الابن طبيبا ، والرمز انتصار هذا الشعب وهذه الطبقة.

وجمالية هذه الاقصوصة هو في أنها تكسب هذه الرموز مضمونها الاعمق لانها صادرة عن احاسيس عامل.. يواجه هذا الواقع بجلد لكن بآمال مشرقة.

الجديد ... ترحب بهذه الصور..

المطر منهمر بغزارة ممتزجا مع صوت الريح مما يثير الاحساس بالبرد والقشعريرة، اشعر وكان البرد يخترق مسامات جلدي لينفذ حتى العظام. وانا قابع في الزاوية الامامية في سيارة "البيجو" التي تقلنا يوميا الى عملنا في حيفا. كنا نجلس متراصين ومنكمشين على انفسنا، متقابلين كل خمسة اشخاص على مقعد خشبي، على الرغم من ضيق المكان لو جاء رجل سادس على كل مقعد لوجد له مكانا لاننا كنا متلاصقين بشكل يخيل اليك وكاننا سنتداخل في بعضنا البعض، لئلا نفسح للهواء البارد ثغرة للدخول بيننا. دخان السجائر يعبق في صندوق السيارة فيبعث بداخلنا الشعور بالدفء.

كانت عجلة السيارة الاحتياطية تحت قدميّ مما ساعدني على تحاشي ذلك الماء الفضولي الذي كان سيحل ضيفا على قدميّ من فتوق حذائي. ومع انعطاف السيارة نحو الشمال بدأ رذاذ المطر يصفع صفحات وجهي مع لسعات الريح التي وجدت لها منفذا ما بين الزجاج الامامي والاطار الذي حوله. الساعة تشير الى الرابعة والنصف صباحا. لا بأس، سنصل اليوم باكرا الى ورشة البناء في السادسة، على اسوا حال سيكون لدينا متسع من الوقت لتبديل ملابسنا.

احكمت لف معطفي جيدا حول جسدي لانه كان خاليا من الازرار، فاحسست بشيء من الدفء. الصمت مخيم على الجميع وقليلا قليلا بدا خيالي يجمع كعادته ويحلق بعيدا حيث يكون الدفء الحقيقي والشبع والكساء في تلك البيوت المرتفعة التي عادة ما يكون لها سلالم من الرخام الابيض ولها بوابات حديدية كبيرة محاطة بأسوار من الزهور الجميلة والاشجار دائمة الاخضرار.

تخيلت ابنائي الصغار وهم يلعبون على المراجيح والحصان الخشبي، بثيابهم الجميلة المزركشة. وبالطبع

لم انس زوجتي الغالية، تخيلتها بثوب جميل وطويل كملابس الاميرات تنحني بلطف لتقطف لي وردة حمراء عندما تراني مقبلا بسيارتي الفخمة الطويلة، وما أن اصل وانزل من السيارة حتى تتجه اليّ لتقدم الوردة الحمراء لي فاحتضنها وتدوب في قبلة حارة وطويلة بالضبط كما يفعل ابطال السينما.

مسكينة زوجتي، تركتها تئن في البيت من الالم. قال الطبيب انها بحاجة الى علاج. لكن المستشفى بحاجة الى نفقات كثيرة، وانا رب لعائلة كثيرة الاولاد ياكلون "الحصى" كما يقال، ثم يجب ان اسدد رسومات صندوق المرضى التي تراكمت عليّ اكثر من سبعة اشهر حتى يتسنى لها دخول المستشفى لكن (العين بصيره واليد قصيره) فديوني كثيرة لكثير من الاصدقاء، وقد بت أخجل من الجلوس معهم لان اكثرهم يعاني ما أعاني من الفاقه والفقر. طبعا ابني، امل الذى يدرس الطب في الخارج اصبح املي. مسكين امل لقد عاش حياة قاسية حتى ليخيّل اليّ انه لم يعش طفولته كباقي الاطفال. لكن سياتي ذلك اليوم الذى سيعوّض به عن ذلك الحرمان، الغربة. نعم هو الذى سينقذ نفسه وينقذنا من هذه المحنة اللعينة.

قطع علي حبل تفكيرى سعال خليل المتواصل العادى لكنه اليوم اكثر شدة من ذى قبل. مسكين هذا الشاب سيقضي عليه المرض حتما، عرض نفسه على اكثر من طبيب لكن دون جدوى دائما يحمل في جيوبه اكياسا من الدواء. وجهه الشاحب يثير في نفسي الشفقة والعطف، احس به وكانه ابني واود لو كان باستطاعتي ان ابعد عنه ذلك الالم الخبيث. احس دائما انه يعرف ما لا نعرف لانه متعلم ومثقف، لو ساعدته الظروف واكمل دراسته لكان "شيئا معتبرا" على حد تعبيره.

أذكر ذلك اليوم الذى اتى فيه الى ورشة البناء ليسال عن عمل، فجعل منه مدير العمل موضع سخرية امام العمال واخذ يهزأ من ضعفه وهو يتحسس عضلاته، لكنه استعطف المقاول ليعطيه فرصة للتجربة فوافق هذا واصبح خليل واحدا منا واستطاع ان يثبت جدارته في العمل. لكنه في الاونة الاخيرة بدا يضعف اكثر وكثير من المرات تهاوى على الارض لكنه كان يقف بسرعة قبل ان يلحظه اى مسوءول في الورشة ويتحامل على نفسه وكنا نحن زملاءه نعينه على انجاز ما يطلب منه من عمل بدون ان يلحظنا اى مسوءول.

تظل تتالم من واقعك المرير وسوء حالك حتى تسمعه يتحدث عن نفسه وعائلته. اخته المشلولة وأمه المريضة ويتمه الابوى المبكر كان سببا بعزله عن مقاعد الدراسة ليتفرغ لاعالة عائلته البائسة، عندما ترى حالك بالف خير، على كل حال لست أدرى من المسكين منا، فكل عامل عندنا في الورشة وراءه قصة فيها بعض المآسي.

رويدا رويدا بدات السيارة تخفف من سرعتها حتى توقفت امام حاجز حديدى يقف من خلفه عدد من افراد حرس الحدود مدججين بسلاحهم، اقتربوا من السيارة وامرونا بالنزول واوقفونا صفا واحدا واخذوا ينادون علينا واحد اثر واحد للتفتيش وفحص الهوية وكانوا يطعّمون تفتيشهم ببعض الشتائم البذيئة والسخرية المهينة.

لم اكن وقتها احس ببرودة الطقس لان لهيبا من النار اشتعل في اعماقي فزاد سخطي ونفذ صبرى واخذت اصرخ بشدة واحتج على تلك التصرفات المهينة، فوجىء الحرّاس من هذا الاحتجاج الذى لم يتوقعوه وسائق سيارتنا ينظر اليّ باستعطاف لاسكت علّهم يتركوننا كان يعرف بأني سريع الغضب لا اسكت على ضيم، خاف علي ان اغلط، اشتم او اضرب وعندها تكون الطامة الكبرى. لكنني تمالكت اعصابي لاني ادركت ان الموقف ليس في صالحنا فسكت على مضض وهم لم يتركونا دون عقاب. أوقفونا نصف ساعة اضافية.

وركبنا السيارة واخذ بعض العمال يحثّون السائق على السرعة لنصل باقل ما يمكن من التاخير علنا نوفر خصم ساعة. بدات اسمع التذمرات من بعض العمال على موقفي واتهموني بانني كنت السبب في هذا التاخير. كان الجميع يتحاشون غضبي لكنهم يعرفون مقدار محبتي لهم وهم على يقين باني عندما اهدأ ساعتذر لهم.

فكرت .. انهم ليسوا مذنبين، فقط يخافون على اجرة الساعة التي ستخصم من اجورهم لذا عليّ ان افجر حقدى وغضبي في وجه المقاول اذا فعلها وخصم الساعة، نعم هذا الاستنتاج الذى توصلت اليه واليت على نفسي ان احطّم جمجمته اذا صمم على ذلك.

وبدات أرسم في ذهني صورة لذلك اللقاء الذى

سيكون بيني وبين المقاول وأتخيل كيف سيكون رأسه المهشم والدماء النازفة تغطي وجهه وثيابه حتى كنت ارسم في ذهني كيف ساحمل قضيبا من الحديد واضرب به كل من يحاول مساعدته وخاصة ذلك المدير "القواد" سليط اللسان الذى يتعامل معنا وكأننا عبيد في قصره.

فجاة، يعلو صراخ : يا ساتر، يا ساتر ، رفعت راسي مبغوتا لكني لم ارى شيئا. فقط احسست انني اصدم صدمة قوية وعنيفة بصندوق السيارة ، وجدت نفسي منبطحا فوق بعض الزملاء في قاع السيارة وسمعت صراخا يتعالى في الخارج ، نظرت من الزجاج المكسور فرايت طابورا من السيارات وحشدا من الناس يخرجون جثثا من سيارة عسكرية.

تحسست راسي كان ينزف دما غزيرا من كل جانب، حاولت ان اصرخ، لم استطع، حاولت مرة ثانية لكن عبث ، فجاة لم اعد اعي ما يدور حولي.

المكان هادىء، تحت جسدى ليونه لم اعهدها من قبل ، احسست بيد حانية تتحسس جبيني بلطف، ادركت انها يد زوجتي، واخذت يدى بكفيها ، سمعت حديثا لم افهم منه كلمة واحدة ولم اعد احس بدفىء لمسات زوجتي فادركت انها خرجت الى حيث لا اعلم- حاولت ان افتح عيني اكثر لارى ما يدور حولي لكن دون جدوى. اعدت الكرة فرايت خيوطا من نور لكن دون تمييز. بعد فترة قصيرة بدات ارى بشكل اوضح، كنت ارى ـ وفتيان في عمر الورد يرتدون الملابس البيضاء، لكن لون الدم عالق في ذهني. حاولت ان اتكلم فلم استطع. حاولت ان اتذكر تفاصيل الحادث، فتذكرت، حاولت ان اتذكر وجوه اصحابي العمال لكن لون الدم الاحمر القاني كان طاغيا على الصورة. لم اعد اتذكر احدا الا وصورة وجهه ملطخة بالدماء حتى اصحابي العمال الذين لم يكونوا في الحادث كنت اتخيلهم في تلك الصورة.

نظرت حولي فامتزج اللون الاحمر بالابيض. طغى الاحمر على كل شيء، اية معادلة هذه، كثيرون لا يؤمنون بها لكني مؤمن بها كل الايمان انا العامل المسحوق والبسيط. حاولت النهوض، لكني لم استطع لان قفصا من الجبس يطوق جسدى، لكني في تلك الساعة بت ارى بوضوح كل شيء حولي.

وفجاة رايت ابني امل في ملابسه البيضاء يسرع لنجدتي. لم يكن صغيرا كما عهدته، اراه رجلا قويا طويل القامة يزين بدلته البيضاء بوردة حمراء على صدره. انه المخلص، فرحت به، بل بكيت من الفرحة رايت النور في كل مكان، الشمس مشرقة تملأ ارجاء الغرفة بنورها ودفئها، احسست بقوة عزيمتي تشتد وآمنت انه آت مع طلوع شمس جديدة.

## نداء .. بالصوت الأخضر .. بالصوت الأحمر

بقلم عائشة شنور شحاده

لانك تتجمع فوق جبيني كحبات العرق
لانك تنبع يوميا من جرح أخضر
أسميك وطني و.... حبيبي

حين انسحق بطمأنينة في نبضك
أصير وشما ـ أصير ضمة فرح
تداعب شرايينك

من آخر الكرة الارضية
من كل الكرة الارضية
تأتيني .....بسمة فرح زرقاء زرقاء
يا وطني ...

لاني أرفض أن أصير كاهنة في جحر متعفن
لاني أرفض أن يصير وطني جدارا
أرفض أن نبكيه
وأرفض أن نحبيه بالكلمات

تمتع بالصمت والسكينة
يا وطنا تنغرس في قلبي سكاكينك
تاريخ الارض حائر
فالخبر الطائر على اجنحة الغربة يقول
عائشة ولدت في أوج الذل
نزلت من بطن المأساة تنادي
تاريخا محفورا بالدم

تاريخ الارض المتفجر يعلن
عن عائشة مولودة في زمن اخضر
من آذار حائر
أسر تاريخا عيدا حلوا للاطفال

عائشة تركض تهتف تبكي
والاطفال المولودون
في عام عائشة المبعوثة
من عرق الارض المحروقة
ينادون الانسان
بالصوت الاخضر ... بالصوت الاحمر
بصوت عائشة المبعوثة
فرجيل يقطف يوميا
هزة الاحقاد وعنف الاحلام
وحقد الاجيال

# انشودة الحجارة الكريمة

بقلم عمر محاميد - لينينغراد

هناك حيث الحجارة الكريمة،
وحيث الحجارة تفهم لغتي
اجد متسعا من الوقت للحديث اليها
هناك حيث تجول الحجارة شاطئ عكا ويافا
اجد لساني طليقا وتجدني الحجارة
مغنيا اغاني الصباح المحلى بالندى
هناك حيث الحجارة الخضراء تفهم لغتي
وتضج بالكلام البسيط كالماء
اجد لساني وشعري يحن .
للكلام البسيط كالماء والازهار والعشب

## مساء

وجدت نفسي بعيدا عن الاوراق الخريفية،
وجدت نفسي عائما في امواج البحر،
الممتد خلف القفقاس الاخضر،
وجدت نفسي مجبرا ان التقط صور الاشجار صباحا
حتى ادفن احزاني مساء .
وكنت ونفسي بين الانس والزنبق
بين الحجارة والماء والاوراق اليانعة
وكان صباحا وكنت اداعب في عمق البحر
سمك البحر

## بلاد السلام ..

لست من روما أو باريس الضاجة،
بالصور والفواكه
جسدي الفاكهة، الهواء والرياح،
جسدي الكلام البسيط والامواج الصاخبة
هل تقولين على الكلام حين اعتذر
لمصيري المتعب ؟
هل تمكنيني من رد السلام
طرح السلام ؟
سلام .. سلام .. انا من بلاد السلام
والحب واللغة الصاخبة بالكلام
والاصات والاوجاع والظلام،
انا من بلاد التين والزيتون
والاسرار والفصول الغامضة .
هل تقوين سماع صوتي المرهق،
الاجش ؟؟
لن تفهمي حركة شفاهي، الظامئة،
لعيون قاطعة كحد السيف .
لن تفهمي حركة عيوني المتيقظة ابدا
لرؤية الشمس والصبح الضاحك .
لن تدركي معنى حنيني لوجه،
يردد اغاني البحارين المنتصرين .
لوجه يردد انشودة فجر .. ونصر .

# الشبح

اقصوصة يوسف طاهر العبيدي

ترتسم الخطوات الجريئة على ممر ترابي يربط بين الشارع العام والمخيم .. لا زال اثر تلك الاقدام متشبثا بذرات التراب المتناثرة ..

قدم قدمان .. ثلاثة .. ربما عشرة اقدام .

كم تعتقد يا احمد عدد اصحاب هذه الاقدام المرسومة؟؟ شعرت بشيء من القلق والخوف معا، وسردت الجواب من احمد .. ابقيته سرا يخصنا نحن الاثنين ..

ـ "ان الجو مشحون هذا اليوم بسحب سوداء وبحر شديد" ضحك احمد ساخرا : "ما هذا التناقض الغريب يا شاطر" ..

كان في نيتي ان اغادر المخيم الى المدينة الا انني غيّرت نيتي .. عدت مسرعا الى البيت ونمت وحلمت انني ارى اصحاب تلك الاقدام بل واعرفهم .. ولكنه حلم . في الحلم فقط اعرفهم؟؟ استيقظت من النوم وفتحت نافذة البيت .. كان كل شيء يبدو طبيعيا .. الا انني اشعر بعكس ذلك تماما .. الساعة الواحدة ظهرا، أو العاشرة صباحا، او لا تدل على زمن سعيد .. جلست حول مكتبتي .. تناولت "سفرا عشقيا" ممنوعا .. لم اكد اقرأ الكلمة الاولى حتى قفزت الكلمة الثانية على جسدي . حاولت ابعادها .. الا انها تشبثت بي .. بقيت متمسكة .. تدحرجت حتى استقرت على جزء لم اعد اذكره من جسدي . تقفز الكلمة الثالثة فالرابعة والعاشرة، استقرت جميعا على ذلك الجزء . ضربت حوله طوقا منيعا ..

حاولت النهوض عن الكرسي الا انني لم استطع .. ما الذي جرى .. هل انا طبيعي ..؟ ما هذا .. اين انا .. من انا .. متى جاء هؤلاء؟ متى .. كيف .. اين كنت .. هذه الوجوه غريبة .. غريبة .. لا اعرفها .. حمده .. فاطمه .. محمد .. اين اختفت هذه الاسماء .. يا الهي لم اعد اميز شيئا ..

الكلمات تنتحي جانبا .. تعقد مؤتمرا سريا بينها .. تتجسد قبل ان تصدر البيان .. تتجسد، تلتحم، تصبح فكرة .. تتوهج .. تشتعل، تقترب مني، احس بشيء من

! دن' . . تقترب الكلمات . . تبتعد ، حركات عشوائية . . ـدرية تلطمني ، وطورا تلفحني . . احاول الهرب لا أستطيع . . تشتعل الغرفة كلها . . ويبقى الكرسي وانا . . اصرخ . . ابكي . . انادى . . أمد يدى نحو النافذة المغلقة افتحها . . مخلوق غريب يطلّ علي . . يصفعني على وجهي . . شبح هو . . شبح . . لا اعرفه . . غاب عني شكله . . اشعر بالغثيان . . النار تطوقني . . هل ساموت حرقا . . هل ساختنق ؟؟

اصرخ ثانية . . احمد . . احمد . . احمد . . د . . ا . . دم . . دم . . ما . . د . . مارد . . ش . . ب . . ح . . لا احد . . لا شيء الكلمات ترتسم في سماء الغرفة ترتسم الكلمات بلون جهنم . . انها جهنم بعينها . .

النار تقترب مني رويدا رويدا ، والدخان الكثيف يقتل ما اشم من هواء . . النافذة لا استطيع فتحها لان الشبح ينتظر خلفها . . وانا امامي يقف الموت الذى لا بد منه ولكن هل ساموت محترقا ام مختنقا ، ام انتظر الموت بين يدى ذاك الشبح . . انها امور ثلاث أحلاهن مر ، كل الغرفة تشتعل . . الكرسي وانا . . انا وحدى ، الكرسي بدا بالاهتزاز . . يصرخ الكرسي . . غير معقول يصرخ ينادى الكرسي ، هل انا مجنون ـ انقذوني ساعدوني . . انني على وشك الموت . . الجنون . . الانهيار . . الدمار . . الحريق . . البناء . . البناء ، التجديد ، تلاشى الكرسي ، اصبح لا شيئا صدقوني . . انني لا اكذب . . انني معلق في الهواء . . معلق في السماء ، النار تشويني ، الدفء يلسعني ، ماذا اسمع انه خبط على النافذة . . انه الشبح . . عاد مرة اخرى . . فليخبط كم شاء . . لن افتح . . لن افتح . . ولكن تذكرت

النار المشتعلة . . اذن سيكون هو قدرى . . تتحطم النافذة تتناثر قطعها فوق النار المشتعلة ، انه يدخل . . ليس له شكل . . ولا لون . . انه الشبح . .

ـ من انت . . ؟

ـ انا . . انا انسان .

ـ اعرف انك بعض انسان ولكن ما اسمك . . ؟

ـ اسمي خالد . . خالد يا سيدى الشبح .

ـ لمن قلت عن اثر الاقدام . . ؟

ـ صدقني انني لم اقل لاحد سوى صديقي احمد . . بل اننا شاهدنا ذلك الاثر سويا . .

ـ كنت اعتقد بانك رجل ولكن خاب ظني فيك . انك لم تكن رجلا . .

ـ ولكن . .

ـ لا تقل شيئا . . انك جبان . . جبان . . جبان . .

ومضى في طريقه وبقي صدى كلماته مرسوما في اذني . اين انت يا احمد . . اسمعني . . اسمعني ، هذه المرة فقط ، اصبحت غريبا عن نفسي . . هذه الاشياء المتناثرة حولي . . تلك الكتب المبعثرة . . انها الكتب ، الكتب وما تحمل من غضب وثورة . من كتاب خرج هذا الشبح . . كان كلمة ، فتجسد ، فصار فكرة . . حلما . . عشقا . . لهبا حارقا ، يحرق كل الصامتين والجبناء . . اين انا . . من انا . . انني لم اعد انسانا . . اصبحت لا شيء . . اين . . اين . . اين انا . . ؟

اصحاب تلك الاقدام المتسللة من هم . . ؟؟

الى اين مضوا . . ما الذى جاء بهم . . ؟؟

وذلك الشبح الذين يسكن فيهم . . وانا . . انا الذى حلمت بانني اعرفهم . . في الحلم فقط اعرفهم . . بالحلم اعرفهم . . سابدا . . سابدأ من لحظة الصفر . . انا ليس رجلا . . هكذا قال الشبح . . الرجولة ليست كثافة الشعر على صدر انسان ما . . الرجولة لا تكمن في عدد المرات التي يضاجع فيها الذكر انثاه . .

انه احمد . . اهلا يا اخي احمد ، انني اشتقت لك في لحظات حسبتها كل عمرى . .

ابتسم احمد ومد لي يدا خشنة وقال : فلنبدا . . فلنبدأ من اللحظة ومضى .

وبقيت وحدى . . وبقي صدى كلماته يطن في اذني ويرتطم في ازقة المخيم الذى يحرسه الشبح .

# ١٩٥١

# الجديد

عدد ١ ملحق شهري لجريدة الاتحاد تشرين الأول ١٩٥١

**مذكرات فوتشيك تطبع مئة مرة**

منذ ان ارتكب الجلادون النازيون جريمة اعدام الصحافي والقائد الشيوعي التشيكي، يوليو فوتشيك، في عام ١٩٤٣، ومذكراته التي ارسلها من زنزانته سرا، وضمنها خبرته وحبه لشعبه وامله الوطيد بالمستقبل الزاهر، تحتل مكانا رفيعا في الادب العالمي الكلاسيكي، حتى اعيد طبعها اكثر من مئة مرة.

تحية الشعب اللبناني بمناسبة عيد الثاني والسبعين

## كوكب الصبح

لفنا ابو حنا

في ٢١ كانون الاول سنة ١٩٥١ يكون يوسف ستالين قد بلغ الثانية والسبعين.

## ابو القاسم الشابي

بقلم سليم قنال

**الصحافة السوفياتية**

في الاتحاد السوفياتي اكثر من ٢٨٠٠٠ صحيفة و١٤٠٠٠ مجلة، وقد وصل مجموع ما توزعه الصحف الى ٣٦ مليون نسخة.

والى جانب الصحف والمجلات المركزية تنمو الصحافة المحلية وتنتشر بكميات كبيرة وبجميع لغات شعوب الاتحاد السوفياتي، حتى غدت لكل جمهورية ومقاطعة ومنطقة صحفها الخاصة

## نظرات في الكتب الحديثة

## المبارزة بين اميركا وبريطانيا في اسرائيل

استعراض وتحليل لكتاب جيمس ماكدونالد «مهمتي في اسرائيل»

بقلم ليونيدوف ملخص عن مجلة «الاوقات الجديدة» السوفياتية

# الجديد

تصدر في حيفا
منذ العام
١٩٥١

## ثلاثون عاما.. وألف تحية

عرفت "الجديد" قارئا متحمسا مذ صدرت ملحقا "للاتحاد" الام قبل ثلاثين عاما. ثم ما لبثت ان صرت موزعا لها مع صدور العدد الاول منها كمجلة مستقلة.. وحتى اليوم، ولن افارقها الا بمفارقة الحياة.

لقد كانت "الجديد" مدرستي الثانية، لكن.. مدرستي الحقيقية. كانت مدرستي الاولى، الابتدائية، مدرسة فرنسية تعلم على تمجيد الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان. أمّا مدرستي الثانية "الجديد" فقد علمتني الوطنية وحب العلم والادب والانسانية. علمتني مكافحة الظلم والاستعمار واستعباد الشعوب. وعلمتني الحياة.

لذا.. فانني حين أقوم بتوزيعها احس بانني أقوم بواجب أو أؤدي رسالة مقدسة. وحين أعرضها على مثقف أو عامل أو أي قارئ أشعر بالثقة والاعتزاز. وأصل قمة السعادة حين ألمس أن مقابلي يبادلني الشعور.

فللجديد في ثوبها الرائع الجديد ألف.. ألف تحية وشكر وتقدير.

عطاالله طنوس

علمتني
مكافحة الظلم
والاستعمار..
علمتني الحياة

